mngool.com

نهاية العالم كيف ومتى ؟

فضيلة الشيخ
محمد متولي الشعراوي

نهاية العالم

كيف ومتى

؟

الفصل الأول

الإنسان .. وقوانين المتغيرات

إن الإنسان فى حياته يتغير كل يوم، يخضع لقوانين لا نعلم عنها شيئا، فهو فى حالة اليقظة له قانون، وفى حالة النوم له قانون آخر لا نعرفه، ولذلك عندما ينام الإنسان يرى أشياء لا تخضع للعقل .. يرى أنه يتكلم مع أشخاص انتقلوا إلى رحمة الله منذ فترة طويلة، أو يسقط من فوق جبل فلا يصاب بسوء، أو أنه يذهب إلى آخر الدنيا ويعود فى دقائق معدودة. وهو يرى وعيناه مغمضتان، ويمشى وقدماه فوق السرير لا تتحركان، ويتكلم ولسانه ثابت لا يتحرك، ويرى أنه يعذب أو ينعم.

إن كل هذا يحدث فى لحظة واحدة .. انتقال الإنسان من قانون اليقظة إلى قانون النوم ربما يحدث فى أقل من دقيقة. وهذا يجعلنا نعرف أن انتقال الإنسان من قانون إلى قانون مختلف تماما، هو عملية سهلة على الله سبحانه وتعالى .. وإذا قرأنا القرآن الكريم .. نجد أن الحق تبارك وتعالى يقول:

﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾

(الآية ٤٢ سورة الزمر)

فانتقال الإنسان من اليقظة إلى النوم .. يشبه انتقاله من الحياة إلى الموت .. ورغم هذا التشابه .. فإن القوانين مختلفة. فالنائم ترد روحه إلى جسده عندما يستيقظ، والذى يتوفى لا ترد روحه إلى جسده إلا يوم القيامة .. ورسول الله ﷺ يقول:

«والذى نفسى بيده إنكم لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون. ولتجزون بالاحسان إحسانا.. وبالسوء سوءا. وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا».

والذى يموت يرى ساعة الاحتضار ما لا يراه الإنسان ساعة النوم .. فهو يرى الملائكة ويرى كل ما هو غيب عنه، ويعرف مصيره إلى الجنة أو إلى النار.

هذا الانتقال من قانون إلى قانون، يتم دون أن يعرف أحد من البشر الكيفية التى يتم بها. إن هذا تغير من حال إلى حال، ثم عودة إلى الحال الأول .. كلها قوانين غائبة عنا رغم أنها تقع علينا وتؤثر فينا!

وإذا نظرنا إلى الكون كله. نجد أن الكون يدار بما يفيدنا، ولكننا لا نعرف كيف يدار، فالمطر مثلا يشرب من مائه كل من فى الأرض، وهو أساس الحياة .. مصداقا لقوله تبارك وتعالى:

﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾

(من الآية ٣٠ سورة الأنبياء)

ولقد عاش الإنسان فترة طويلة .. لا يعرف شيئا عن المطر ولايدرى كيف يتم البخر من البحار، ثم يتكثف الماء فى طبقات الجو العليا، ثم ينزل مطرا، هل عدم علم الإنسان بكيفية نزول المطر منعه من الاستفادة منه فى الرى والشرب وغير ذلك؟ لا .. وحتى يومنا هذا لا فرق بين الذى يعرف كيف ينزل المطر،

وبين الذى لايعرف فى الانتفاع بالماء فى الكون، قليل من أولئك يعلمون، وكثير من أولئك الذين لا يعلمون، ولكننا جميعا نستفيد بمياه المطر، وكذلك الشمس والهواء والأرض. علمت أسرارها وقوانينها أو لم تعلم.. فإنك تستفيد منها.

العلماء أجهدوا أنفسهم فى البحث عن أسرار الكون .. وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكشف لهم من أسرار الكون ما يزيد علمهم بما أودع الله فى كونه من قوانين.

وهذه القوانين جعلت الحياة أكثر سهولة بالنسبة للإنسان قللت ما كان يبذله من جهد، فبعد أن كان الإنسان يذهب إلى البئر ليشرب. أصبح الآن يجد الماء فى بيته، وبمجرد إدارة مفتاح الصنبور تجد الماء أمامك .. هذه ارتقاءات فى الاستخدام ولكنها لم توجد الشيء المستخدم.

العقل.. واكتشافات الكون

الجاذبية مثلا أدت عملها منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الكون، ولم يعرفها الإنسان إلا متأخرا، ولكنها كانت تؤدى دورها .. نقل الأثير للأصوات مثلا وغير ذلك، كلها تخدم الإنسان دون أن يعرفها أو يعرف قوانينها.

ولكى نقرب هذه الصورة إلى الأذهان نقول إنك إذا جئت بإنسان أمى .. وقلت له إذا أردت ضوء الكهرباء لتضيء هذا المكان.. اضغط على هذا المفتاح، وإذا أردت أن تشاهد برامج التليفزيون أدر هذا المفتاح.. هل حال جهل هذا الأمى دون انتفاعه بضوء الكهرباء أو مشاهدة التليفزيون؟ لم يحل، فهو كلما احتاج إلى ضوء ضغط على مفتاح الإضاءة، وكلما أراد مشاهدة برامج التليفزيون أدار المفتاح.

إذن فعدم علمه بأسرار الكهرباء وقوانينها، أو أسرار نقل برامج التليفزيون وكيف يتم نقلها لم يمنعه من أن يستفيد منها وأن يستخدمها.

وكذلك كان الكون وسيظل، وكلما بحث العقل البشرى، وكشف الله له من آياته فى الكون .. ارتقى البشر فى الانتفاع والنفع.

إن الأشياء التى كانت تتطلب مجهودا شاقا وزمنا كبيرا .. تتم الآن بمجهود قليل وفى زمن أقل، والذى كان يحمل أردبا من الحبوب على ظهره ويعانى الكثير فى نقله من مكان إلى آخر. انتهت هذه المعاناة باكتشاف العجلة، ثم ما لبثت أن تطورت حتى كانت هناك مركبات تجر باليد. ثم ارتقى العلم إلى ما نحن فيه من اختراعات حديثة .. اختصرت الزمن .. وقللت من المشقة، وأراحت الإنسان.

ولكن هل هذه الاختراعات، وهذا التقدم العلمى استطاع أن يوجد مادة لم تكن موجودة فى الأرض؟ بالطبع لا.. فالله سبحانه وتعالى هو الموجد لكل ما فى الكون .. منذ بداية الخلق حتى يوم القيامة.. وكلما ارتقى البشر فى حضاراتهم عرفوا من آيات الله فى الكون ما يعطيهم حياة أكثر ترفا. والله تبارك وتعالى يقول:

﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ﴾

(من الآية ٢٩ سورة البقرة)

قدرة الخالق فى إعجاز الخلق نراها كل يوم .. ومهما تقدم الإنسان فى العلم وتطور عقله، أعطاه الله وكشف له من الأسرار ما كان غيبا عنه، فإنه لا يخلق شيئا جديداً ولايصنع شيئا إلا من موجود، ومع أن هناك أشياء يعتقد بعض الناس أن الإنسان قام بالإسهام فيها. مثل الزرع مثلا وتحسين النوع، والاكتشافات

الجديدة التى دخلت فى خدمة الانسان .. كقدرته على الطيران.. أو اطلاق الأقمار الصناعية .. أو النزول على سطح القمر .. إن هذه الأشياء كلها لم تحدث ابتداء، وإنما تمت من موجود كان خافيا حتى لحظة اكتشافه !

فالإنسان لكى يكتشف الصاروخ .. درس قوانين الغلاف الجوى، ودرس قوانين الطاقة الموجودة التى يحتاجها الصاروخ.

ولكن هل كانت هذه القوانين غير موجودة فى الكون عندما خلقه الله؟ .. طبعا كانت موجودة، وهى من خلق الله من أول ما قال سبحـــــانه وتعالى للكون: «كن».

إن أحدا لا يستطيع أن يدعى ـ مهما بلغ علمه ـ أنه قد صنع غلافا جويا جديداً للأرض، أو أنه قد بدل أو غير فى تكوين الغلاف الجوى حتى يستطيع أن يحمل صاروخاً إلى الفضاء. أو أنه قد فتح بابا فى الغلاف الجوى حول الأرض، حتى يمكن للإنسان أن يخرج منه ويصل إلى القمر ..

لا أحد يستطيع أن يدعى أنه فعل ذلك، فالله تبارك وتعالى .. هو الذى خلقه وأوجده على هذه الصورة، ثم كشفه للإنسان وعرفه استخداماته.

إذن كلما ارتقى البشر فى حياتهم .. زاد علمهم بآيات الله فى كونه .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾

(من الآية ٢٨ سورة فاطر)

لماذا لابد أن يكون العلماء أكثر خشية لله؟ .. لأنهم هم الذين عرفوا بعض آيات الله فى كونه، تلك الآيات التى تشهد بعظمة الخالق، ودقة صنعه، وبدلا

من أن يسجدوا خضوعا لعظمة الله، أخذوا يتحدثون عما اكتشفوه من أسرار الكون وكأنهم هم الذين أوجدوه !

والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم آياته:

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾

(الآية ٥٣ سورة فصلت)

وكلما مر الزمن. نقرأ الآية الكريمة: «سنريهم» .. كأن آيات الله تبارك وتعالى فى كونه وفى خلقه حتى نهاية العالم.

إننا لابد أن نتوقف قليلا، لنرى كيف أن منهج الله موضوع بدقة فائقة ليقود الإنسان إلى الإيمان. فكل ما فى هذا الكون وضع بحكمة لخدمة الإيمان، ولخدمة منهج الله.

إن الله تبارك وتعالى اختار منهج الحياة لخلقه ومعه الدليل الإيمانى، والله سبحانه وتعالى ـ هو غيب عنا لا نراه ـ قد يأتى إنسان ويقول: أنا لا أصدق إلا ما أراه !! نقول له لا تتسرع، لأن الوجود شىء، وإدراك الوجود شىء آخر تماما.

ولنأخذ الجراثيم التى تفتك بالبشرية وتأتينا بالأمراض مثلا.. ألم تكن هذه الجراثيم موجودة عند بداية الخلق؟ نعم كانت موجودة ولكن لدقة حجمها لم نكن نراها، بل أكثر من ذلك، إنها كانت تؤدى مهمتها فى الكون، ولها مهام كثيرة دون أن نعرف عنها شيئا، ثم تقدم العلم واخترعت المناظير المكبرة التى تكبر الشىء مئات المرات أو ألوف المرات.. فاكتشفنا هذه الجراثيم، وإذا بها مخلوقات غاية فى الدقة لها قوانينها الخاصة بها، ولها دورة حياتها وتتناسل

وتتكاثر، وتستطيع أن تخرق جلودنا ونحن لا نحس بها، وأن تدخل إلى الأوعية الدموية ونحن لا نحسن بها أيضا، وأن تقضى فترة حضانتها داخل الدم.. تتكاثر فيه وتحدث معارك بينها وبين كرات الدم البيضاء.. إلى آخر ما نعرفه الآن بعد اكتشافنا لها ومعرفتنا إياها.

والسؤال هنا: هل خلقت هذه الجراثيم ساعة رأيناها ؟.. طبعا لا .. إنما كانت موجودة منذ بداية الخلق، ولكننا لم نكن نعرف أو ندرك وجودها.. وكذلك كل شيء فى الكون. فالغلاف الجوى أو الأثير.. الذى يحمل لنا الآن الصوت والصورة ويطوف بهما فى كل أنحاء الأرض فى ثوان معدودة، بحيث تستطيع وأنت فى بيتك أن ترى نزول الإنسان على القمر فى نفس اللحظة التى ينزل فيها، أو ترى حدثا مهما ساعة وقوعه وأنت جالس فى حجرتك والحدث على بعد ألوف الأميال منك.

والسؤال: هل أضاف الإنسان .. إلى الغلاف الجوى خاصية نقل الصوت والصورة حول العالم فى ثوان ؟ .. الجواب طبعا لا .. فالغلاف الجوى كما خلقه الله سبحانه وتعالى موجود بكل خصائصه، ولكننا لم نكتشف هذه الخاصية .. إلا فى الفترة الأخيرة، كما أننا لم نكتشف أن الهواء يمكن أن يحمل الطائرات بكل ما فيها من أجسام ثقيلة.

إذن كل الخصائص كانت موجودة فى الكون عندما خلقه الله تبارك وتعالى. ولكننا لم نكتشفها إلا عندما أذن الله بها، فظهرت لنا وعرفناها واستخدمناها، وذلك حتى يخدم كل ما فى الكون قضية الإيمان..

فإذا جاءك إنسان وقال لك: إن الله سبحانه وتعالى غيب فكيف نؤمن به ؟..

نقول له إن الله جل جلاله قد أعطانا من الأدلة فى الكون ما يجعلنا نعرف

يقينا أن ماهو غيب عنا موجود، وإن لم نكن نعرف وجوده، والموقف هذا لابد أن يخدم العلم قضية الإيمان ويقربه لنا.. فكلما كشف الله لنا شيئا .. قلنا سبحان الله الذى خلق فأبدع فصور..

ولكن بدلا من أن نتخذ العلم قضية تقربنا من الإيمان أكثر .. اعتقدنا أننا وصلنا إلى هذه الأشياء بذاتيتنا، وأننا نحن الذين أوجدناها فى الكون، وأنها من صنعنا، ونسبناها إلى بشريتنا بدلا من أن ننسبها إلى خالقها العظيم .. وأصبح الناس يستخدمون العلم فى محاربة الإيمان .. بينما العلم فى حقيقته مثبت للايمان.

بقدرات الله .. لا بقدراتك

هذه هى المأساة التى يعيشها العالم الآن .. إننا نرى أن كل ثابت فى الكون يخدم الإنسان جيلا بعد جيل بدون تدخل أى ارادة بشرية .. وبدون أن ندرى عن قوانينه شيئا.

لكن انقلبت الآية وأصبحنا ندعى أننا نخضع الأرض بذواتنا وأننا نجعلها تنبت لنا الزرع بقدراتنا، بل تجاوزنا هذا المعنى لنطعن فى المغيبات الخمسة التى أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها، وأنها انكشفت للإنسان، أصبح هناك من يقف أمام كاميرات التليفزيون ويقول إن الإنسان هو الذى ينزل الغيث أو المطر، مع أن نزول الأمطار يتم بلا عمل منا، فلا يوجد إنسان يستطيع أن يدعى أنه هو الذى يسلط أشعة الشمس على البحار، حتى يصعد بخار الماء إلى طبقات الجو العليا، ولا أحد يستطيع أن يقول أنه هو الذى يكثف هذا الماء ليصبح سحابا، ولايستطيع أحد أن يدعى أنه يصدر الأوامر إلى الريح لتدفع هذا السحاب إلى المكان الذى قدر الله فيه نزول المطر، ولا أحد يمكن أن يقول إنه يجعل هذا السحاب يصطدم بقمم الجبال الباردة فيمطر.

كل هذه العملية تتم دون أن ندرى عنها شيئا وأقرأ قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرابين يدى رحمته حتى إذا أقلّت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾

(الآية ٥٧ سورة الأعراف)

الله سبحانه وتعالى بقدرته .. هو الذى ينشىء السحاب .. وهو الذى يسوقه إلى حيث يشاء. ويقول جل جلاله:

﴿ ألم تر أنّ الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾

(الآية ٤٣ سورة النور)

المغيبات.. والغرور الإنسانى

الحق سبحانه وتعالى يذكر لنا فى القرآن الكريم الحقائق الثابتة بالنسبة للمطر. ولأن العلم قد اكتشف أنه بإلقاء مادة كيماوية على السحاب تمطر، يأتى مدع مغرور ليقول إنه استطاع أن ينزل المطر، وأن إحدى المغيبات الخمس التى انفرد الله بعلمها قد انكشفت له، والتى جاءت فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تمـــوت إن الله عليم خبير ﴾

(الآية ٣٤ سورة لقمان)

إننا نقول لهذا الإنسان أين أنت من نزول الغيث؟ .. إنها عملية ضخمة هائلة.. تبدأ من البخر من البحار إلى أن ينزل المطر .. ولا يستطيع العالم كله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن ينزل قطرة ماء.. ولو كان الانسان قادرا على أن ينزل المطر لجعل المطر يروى الصحارى.. حتى ليتمكن من زراعتها .. أو كان من الممكن إذا نزل مطر غزير على أحد الأماكن، أن يأخذ السحابة ويجعلها تمطر فى مكان آخر .. لينجى أهل هذا المكان من الفيضانات والغرق، والله سبحانه وتعالى ينزل من السماء المطر.. يشرب منه الناس جميعا .. هم وأنعامهم وكل شىء حى، والله خلق الأنهار التى تمتد ألوف الكيلومترات .. فهل يستطيع العلم أن ينشىء لنا ترعة صغيرة فى وسط الصحراء ؟

إنه لمما يحزن أن الناس بدل أن يستخدموا العلم استخدامه الصحيح لخدمة الإيمان.. انطلقوا يستخدمونه لخدمة الكفر والإلحاد، وبدلا من أن ينسبوا ما فى الكون إلى قدرة الله سبحانه وتعالى .. نسبوه إلى أنفسهم وقدراتهم.

وخلاصة القول إن الكون كله مخلوق لله لخدمة الإنسان وإنه ثابت لا يتغير. أما الإنسان فإنه يتغير من حال إلى حال .. بقوانين غائبة عنا لا نعرفها، وأن الله سبحانه وتعالى.. قد جعل آيات الكون كلها تخدم قضية الإيمان ولكن الإنسان جعلها تخدم قضية الكفر والإلحاد.

الفصل الثاني

البدايه ...

والنهايه ...

الله سبحانه وتعالى هو وحده واجب الوجود، ووجوده بلا بداية ولا نهاية، وكل خلق من خلقه له بداية وله نهاية. الكون كله بما فيه ومن فيه له بداية وله نهاية، وعندما تقوم القيامة.. يتم تدمير كل شيء فى هذا الكون .. بشمسه وقمره ونجومه وأرضه وجباله وبحاره. يقول جل جلاله فى القرآن الكريم عن هذه الحقيقة:

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾

(الآية ٤٨ من سورة ابراهيم)

وهكذا يخبرنا الله جل جلاله فى القرآن الكريم أن هذه الأرض التى نعيش عليها بالأسباب، مطمور فيها أقواتها حتى يوم القيامة .. فإذا جاء يوم الحشر .. تدمر هذه الأرض وتأتى أرض جديدة .. هى أرض الميعاد التى يحشر عليها الناس ويحاسبون .. وسوف نخرج من قبورنا فى هذه الأرض ونساق إلى أرض الميعاد.. وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فى الفصل القادم..

اننا ـ نحن المؤمنين ـ نعرف يقينا أن هناك نهاية لهذه الحياة الدنيا .. لكن يوجد من يحاول أن يشكك فى هذه الناحية مدعيا أنه ليس بعد الموت شيء ! وكل من يقول ذلك من الذين يعتنقون الوجودية والشيوعية وغير ذلك من مذاهب الإلحاد، لم يخرجوا عن فكر الكفار فى كل عصر .. فالفكر الملحد يكرر نفسه ولا يرتقى أبدا، لأنه مبنى على أسس من الباطل .. والباطل يكرر

ادعاءاته بأشكال مختلفة.ولكن ليس فيه مضمون جديد..واقرأ قول الحـــق تبــارك وتعالى:

﴿ وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾

(الآية ٢٤ سورة الجاثية)

إنك إن بحثت فى كل دعوة كافرة فى هذا الكون ـ مع اختلاف النظريات والفلسفات وغير ذلك ـ تجد القائمين عليها ينكرون البعث ويسترون وجود الله سبحانه وتعالى الذى خلقهم ويميتهم ثم يحييهم .. وأقصى أمانى الكافر ألا يكون هناك يوم للحساب، لأنه بطبيعته يطلق لنزواته وشهواته أن تفعل ما تشاء .. يسرق ويقتل ويكذب ويعتدى على أعراض الآخرين ويشهد الزور، ثم بعد ذلك لا شيء !! هذه هى أقصى أمانى كل كافر، ولكنها أمان كاذبة، لأن هؤلاء جميعا سيفاجأون يوم القيامة بالله سبحانه وتعالى يحاسبهم على كل ما اقترفوه من آثام .. وما اعتنقوه من باطل واقرأ قوله تعالى:

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾

(الآية ٣٩ سورة النور)

هذه هى الحقيقة التى ينكرها كل كافر، ولكنها ستفاجؤه، وحينئذ لا تنفعه ثروات الدنيا كلها.

الإنسانى وعناصر الأرض

وقبل أن نتحدث عن النهاية، لابد أن نستعرض البداية بشكل مجمل لنرى كيف أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الانسان من الأدلة ما يجعله يؤمن، بل إنه جل جلاله ساوى بين البشر جميعا، بحيث يفهم كل إنسان هذه الادلة، ولا يتوقف فهمها ـ فقط ـ على الذين أوتوا حظاً من العلم.

الله سبحانه وتعالى خلق آدم من عناصر الأرض. والتحليل العلمى الذى تم أخيرا أثبت أن جسد الإنسان يحتوى على ١٨ عنصرا هى نفس العناصر الموجودة فى الأرض. وهكذا نرى أن العلم توصل إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

الله سبحانه وتعالى بعد أن سوى آدم بيديه، نفخ فيه من روحه فدبت الحياة فى الجسد، ثم خلق حواء من آدم أو من ضلع منه، وهكذا فإن الإنسان من روح وجسد .. الجسد المادى تركه الله تبارك وتعالى ليكتشف الإنسان قوانينه على مدى العصور وعلى قدر ما يؤتى من العلم، ولكن الروح جعلها الله سرا مغلقا على الإنسان لا يستطيع أن يصل إليه. وكل الأبحاث التى تجرى عن الروح هى عبث، لأنها سر لن يصل البشر إليه، والروح لاتدخل فى طاقة البحث العلمى .. إنك لا يمكن أن تأخذ الروح إلى المعمل وتجرى عليها تجارب لتعرف قوانينها..

لقد حاول الإنسان وما زال يحاول ليعرف عنها شيئا. فقد قام عالم سويسرى بتجربة وضع فيها الإنسان وهو يحتضر على سرير ملحق به ميزان غاية فى الدقة، ووجد أنه فى لحظة الموت وعندما تخرج الروح من الجسد .. يفقد الإنسان جزءا يسيرا من وزنه، بعد هذه التجارب قال هذا العالم: إن الروح لها وزن دقيق جدا .. لا يتجاوز جزءا من المائة من الجرام .. لقد ادعى هذا العالم السويسرى أن هناك وزنا بسيطا جدا للروح محاولا بذلك أن يثبت أن الروح جرم مادى له وزن غاية فى الدقة.

هناك من العلماء من أنكر وجود الروح وقال هى الزمن أو الطبيعة، وبعضهم التجأ إلى فلسفات أخرى وقال إنها هى التى تعطى الجسم الحياة .. والله سبحانه وتعالى يقول عنها فى كتابه المحكم:

﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

(الآية ٨٥ سورة الاسراء)

ويجب أن ندرك أن هناك الروح، وهناك الجسد، وهناك النفس، والنفس

هي التقاء الروح بالمادة، أو امتزاج الروح والجسد. والتكليف من الله تبارك وتعالى لا يأتى للروح وحدها، ولا يأتى لجسد خرجت منه الروح، وإنما يأتى عندما يمتزج الروح والجسد، .. وذلك مصداقا لقوله تعالى:

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾

(الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠ سورة الشمس)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس وهى فترة التقاء الروح بالمادة، والعذاب فى الآخرة والنعيم للنفس أيضا، ولذلك يعيد الله تبارك وتعالى الخلق، فيعيد الأجساد وتدخل فيها الأرواح لتكون معدة للحساب. ولذلك نجد آيات القرآن الكريم التى تحدثنا عن الآخرة لاتذكر فيها الروح وحدها ولا الجسد وحده، بل تذكر النفس .. فيقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون﴾

(من الآية ١٦١ سورة آل عمران)

وقوله تعالى:

﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾

(الآية ٢١ سورة ق)

ويقول جل جلاله:

﴿ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا﴾

(الآية ٤٨ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس، والعذاب للنفس.. والنعيم للنفس.. باعتبار أنها امتزاج الروح بالجسد أو التقاء المادة بالروح.

ما هى الروح ؟

وإذا أردنا أن نعرف الروح، فإننا نقول إنها ذلك السر الالهى الذى يهب الحياة للمادة، أو هى إرادة الله سبحانه وتعالى لنا أن نحيا، فإذا سلب الله هذه الإرادة .. انتهت الحياة بشكلها الدنيوى. والموت ليس نهاية لرحلة الحياة، بل هو نهاية لحلقة من هذه الرحلة.. وبداية لحلقة جديدة.. لها قوانينها وحيـاتها التى يعلمهـا الله.

لقد بينا أن الإنسان يمكن أن ينتقل من قانون إلى قانون فى لحظة واحدة، فعندما يضع الإنسان رأسه على الوسادة وجسده على السرير، فإنه لحظة أن ينام ينتقل من قانون إلى قانون، وهذا ما وضحناه .. فإذا استيقظ من النوم ففى نفس اللحـظة ينتقل من قانون النوم إلى قانون اليقظة، وكـلاهما مختلـف عن الآخـر تماما.

إن رسول الله ﷺ بين لنا أن الحياة الدنيا فترة قصيرة من رحلة الحياة الكبرى، وشبهها بالمسافر الذى يقضى بعضا من الوقت فى ظل شجرة ثم يرحل، ليعطينا صورة دقيقة على قصر زمن الحياة الدنيا بالنسـبة لرحلة الحياة الكبرى..قال ﷺ :

(مالـى وللدنيـا ما أنا فى الدنيـا إلا كـراكـب استظل تحت شـجرة ثـم راح وتركها) .

لقد تحير الإنسان فى أمر الروح، حتى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وكيف تهب الحياة للجسد؟.. وكانوا يعتقدون أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيأتى لهم بأشياء من عنـده يطعنون بها فى صـدق رسالته ﷺ .. ونزل قوله تبارك وتعالى:

﴿ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾

(الآية ٨٥ سورة الإسراء)

أى أن الروح ستظل سرا من أسرار الله سبحانه وتعالى .. وغيبا عنـــا إلـــى يوم القيامة..

ولكن الروح ـ التى هى غيب عنا ـ جعلها الله سبحانه وتعالى دليلا إلى الإيمان، وقوة تلفتنا إلى قدرة الله تبارك وتعالى، وتعلمنا كيف نمضى فى طريق الإيمان ونحن واثقون من وجود الله واجد الوجود .. وواثقــون من خلقــه للكون ولنا.

والروح وإن كانت تعيش فى جسد الإنسان فإن صاحب هذا الجسد لا يعرف عنها شيئا .. لا يعرف كيف دخلت، ولا كيف تخرج؟.. وأين مكانها فى الجسد البشرى؟.

أهى فى العقل الذى يعطى الاشارات لكل الجسم ليتحرك؟.. أم هى فى القلب الذى ينبض والانسان جنين فى بطن أمه؟.. ويظل ينبض دون إرادة منا حتى تنتهى الحياة.. أم هى فى اليد التى تبطش؟.. أم القدم التى تمشى؟.. أم العين التى تبصر؟.. أم الأذن التــى تســمع؟ .. أم اللســان الــذى يتكــلم؟.. أين هى؟..

الروح من أمر ربى

لقد عجز عن إدراك الروح وكنهها كل علماء الأرض الذين يجادلون فى الله بغير علم، ويأخذون الرؤية المادية على أساس أنها يقين العلم كله، أولئك الذين يحاولون ستر وجود الله ويعلنون الكفر والإلحاد.. والروح فى أجسادهم

وهى معهم فى رحلتهم الدنيوية.

اننا لو توجهنا إليهم بسؤال محدد هو: هل الروح موجودة أم غير موجودة؟ .. سيكون جوابهم بالقطع هو أن الروح موجودة لسبب بديهى هو أنها هى التى تعطى الحياة للجسد. ونقول لهم: إذا كانت الروح ـ وهى مخلوق لله سبحانه وتعالى ـ موجودة وجودا يقينا فى أجسادكم لا يستطيع أن ينكره أحد منكم، وموجودة وجودا يقينا فى كل شىء حى، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون رؤيتها أو معرفة تكوينها.. فى الوقت الذى ترون آثارها على أجسادكم..

إذا عجزتم عن هذا بالنسبة للروح.. فكيف تريدون رؤية الله سبحانه وتعالى .. لماذا تجاهرون بأن عدم رؤيته جل جلاله.. دليل على عدم الوجود !!.. ألا تكفى هذه التجربة التى فى أجسادكم، والتى تعيش معكم رحلة العمر لتؤكد لكم أنكم تفترون على الله الكذب بهذا الادعاء ولو كنتم تعقلون لسجدتم لقدرة الله تبارك وتعالى الذى وضع فيكم هذا الاعجاز ليلفتكم إلى قدرة الله وعظيم علمه.

ولكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية، ولم يعط لبشر ولو علما يسيرا عن الروح؟.. نقول إن لهذا عدة أسباب:

أولا لندرك عظمة قدرة الله.. ولنرى يقينا هذه القدرة التى تضع فى الجسد البشرى ما يعطيه الحياة، دون أن يستطيع أحد أن يعرف شيئا عما يهب الحياة إلى جسده .. وعندما نرى هذه القدرة نحس بعظم الخالق سبحانه وتعالى الذى وضع هذا السر فينا.. دون أن نستطيع اكتشافه..

وثانيا أنه دليل وجود بلا رؤية، دليل وجود لما هو غيب عنا .. فنحن نعرف يقينا أن الأرواح فى أجسادنا بالحياة التى تهبها هذه الأرواح للأجساد، فإذا

خرجت توقفت الحياة .. وبذلك نعلم يقينا أن الغيب موجود، وأن عدم إدراكنا له ليس دليلا على أنه غير موجود .. انه محجوب عنا، نحن لا نراه ولكننا نستدل عليه بآثاره، ونستدل عليه دليلا يقينيا، وخير شاهد على هذا هى الروح التى تسكن الجسد.. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾

(الآية ٢١ سورة الذاريات)

إن نظرة الإنسان لنفسه وحدها تحمل الدليل الإيمانى على أن ما هو غيب عنا موجود نستدل عليه بآثاره. ألا يكفى هذا الكون بكل ما فيه من إعجاز الخلق، ومن قوى أكبر من قدرات البشر جميعا أن تدلنا يقينا على وجود الله سبحانه وتعالى ؟!.

النقطة الثالثة هى أن كل ما فى الكون من حقائق علمية وقوانين كونية كانت تباشر مهمتها قبل أن يكشفها الله لنا، واكتشافنا لها أخيرا ليس معناه أننا أوجدناها، لكن معناه أن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلمنا بها، ولكنها كانت تؤدى مهمتها قبل أن نعلم عنها شيئا. إذا كان هذا دليلا كافيا للايمان.. فلماذا غيب الله عنا الروح ؟.

نقول: إن الاكتشافات العلمية محتاجة لأن يدرس الناس ويتعلموا حتى يصلوا إليها، ولكن ذلك الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب، ولا يستطيع أن يستوعب من العلم شيئا هل نتركه بلا دليل ؟..

الله سبحانه وتعالى يساوى بين عباده جميعا، ووجود الروح فى الجسد شيء لا يحتاج إلى علم، بل كل الناس تعرفه لأنه يعيش معه ويعيش معها، فإذا دخل الشك لأى نفس بشرية فيكفى أن نضرب مثل الروح ليفهمه الجاهل والمتعلم..

الذى قرأ وتعلم، والذى لم يقرأ حرفا واحداً فى حياته .. وحقيقة الروح ـ علمنا بها أو لم نعلم ـ لا تزيد من انتفاعنا بها أو تقلل منه، فالانتفاع بالروح لا يقتضى العلم .. فهى تعطيك الحياة والقدرة وإن كنت لا تعلم عنها شيئا.

ويجب أن نتوقف قليلا عند قول الله تبارك وتعالى:

﴿ قل الروح من أمر ربى﴾

(من الآية ٨٥ سورة الإسراء)

ماذا تعنى كلمتا: «أمر ربى» .. أو كيف يتم إمضاء هذا الأمر.. يحدد الله ذلك فى قوله جل جلاله:

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾

(الآية ٨٢ سورة يس)

إذن فأمر الله هو ارادته سبحانه وتعالى .. فى أن ينتقل الشىء من علمه اللدنى إلى حياة البشر بكلمة «كن» .. لذلك لابد أن تتنبه إلى قوله تعالى: (يقول له) .. ومادام الله تبارك وتعالى يقول له .. فإن الشىء موجود فى علمه الذى وسع كل شىء، فكل ما فى هذا الكون من أحداث منذ بداية الخلق، وقبل بداية الخلق إلى يوم القيامة، وبعد يوم القيامة موجود.

هناك ميلاد لكل شىء.. فى علم الله تبارك وتعالى ولذلك عندما سئل أحد العارفين عما يجرى من أحداث على الحياة والناس قال .. هى أمور يبديها ولا يبتديها، ولذلك فإن الحياة الدنيا بكل أحداثها موجودة فى علم الله، والحساب يوم القيامة والجنة والنار، كلها موجودة فى علم الله، بحيث لو أراد الله تبارك وتعالى أن يكشفها لمن شاء من خلقه، فإنه يكشفها .. واقرأ قوله جل جلاله:

﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾

(الآية ٢٢سورة الحديد)

إن أحداث الدنيا وما يقع من أحداث فى الآخرة هى كلها فى علم الله سبحانه وتعالى، وتخرج من علمه سبحانه .. إلى علم الإنسان بكلمة «كن» .. ولكن الانسان كما وصفه الله سبحانه وتعالى ظلوم وجهول .. ظلوم لأنه مغرور يعتقد أنه هو الذى حقق بنفسه وبذاته هذه الحضارات التى نعيشها.. وان كان فى الحقيقة لم يحقق شيئا إلا باستخدام العقل المخلوق له من الله فى توجيه الطاقة المخلوقة له من الله .. فى المادة المخلوقة من الله، ليكشف الله له ما شاء من قوانين الكون فيستخدمها فى ارتقاء حياته.. وارتقاء الحياة كما قلنا .. أن يحدث الشيء فى وقت أقل وبجهد أقل.

فى الماضى كنا نصعد السلم إلى الأدوار العليا، وكانت هذه عملية شاقة، فأصبح المصعد الآن يأخذنا إلى الدور الأخير فى وقت أقل وبجهد أقل.

كنا فى الماضى إذا أردنا الذهاب إلى مكان .. نمشى إليه، الآن أصبحنا ننتقل بالسيارة والطائرة وغيرهما من وسائل النقل الحديث بجهد أقل وفى زمن أقل.

ولكن الانسان عندما رأى هذا التقدم العلمى عبد الدنيا .. وهو جهول فى ذلك قد بلغ المدى فى الجهل.. وهذا لسببين:

الأول أنه يمضى فى هذه الدنيا فترة ثم يفارقها، والخالق لا يغادر مخلوقه.

والجهل الثانى أنه يفعل الشيء فى الخفاء ويكون حريصا على أن يخفيه عن عيون الناس فلا يراه أحد، ويحسب أنه قد فعل شيئا لا يكشفه أحد.. ولكنه ينسى أن الله تبارك وتعالى يراه فى كل ثانية ولا يخفى عليه شيء حتى ما فى الصدور ولذلك ورد فى الأثر عن الله جل جلاله:

«ياعبادى إن كنتم تظنون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم، وإن كنتم تعرفون أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم».

هذه هى الحقيقة التى يعرفها الجميع وينسونها أو يتناسونها لتحقيق شهوة النفس والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾

(الآية ٢ سورة الملك)

وحين يتحدث الحق تبارك وتعالى عن حكمة الخلق، وأن الحياة مجال اختيار لنا لنحسن الطاعة ونحسن العبادة ونحسن الالتزام بمنهج الله.. ذكر الموت أولا قبل الحياة، وذلك حتى يقتل غرور الدنيا فى أنفسنا، فكلما اغتر الإنسان ونسب ما فى الكون لذاته، ذكره الله سبحانه وتعالى بالموت، ليعرف أن كل ما هو فيه من نعيم أو ملك له نهاية، وأنه لا شىء يدوم وحين يتذكر الإنسان ذلك لاتغره الدنيا التى هو مفارقها، يقينا، ولكن الغرور البشرى يصور للناس أنهم سيعيشون سنوات وسنوات .. حتى ذلك الذى بلغ من العمر أرذله .. يعتقد أن الوقت ما زال أمامه طويلا !!.

لا تغتر .. فالموت يأتى بغتة

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الموت بلا أسباب، إنه يمكن أن يفاجئنا فى أى لحظة، فليس معنى ان الإنسان يتمتع بصحة جيدة أنه سيعيش طويلا، وليس معنى أن الإنسان صغير فى السن أن أمامه عمراً طويلاً. فالموت يأتى للصغير وللكبير وللصحيح وللمريض. وقد يموت إنسان ممتلىء صحة أو فى سن صغيرة، ويعيش إنسان مريض حتى يبلغ مبلغ الكهولة.

ولأن الله سبحانه وتعالى يحبنا، فهو لايريدنا أن نغتر بالحياة، وأن نوقن

باستدامتها، بل علينا أن نتوقع النهاية فى أى وقت، وذلك حتى نسارع فى الخيرات ونمتنع عن المعاصى، لأننى لو علمت أننى سأموت فى سن الخمسين أو الستين مثلا.. فإننى قد أرتكب المعاصى وأظلم الناس وآخذ المال الحرام، حتى إذا وصلت إلى ماقبل موعد الموت بعام أو عامين.. فإننى أتوب إلى الله وأفعل الخير !!.

إن مثل هذا لو حدث فى الواقع لامتلأ الكون بالمعاصى وقل منه الخير، ولكن إذا علمت أن الحياة تتوقف فى أية لحظة، فإننى أسارع إلى الخير، ولذلك يصف الله عباده الصالحين الذين لهم منزلة عالية عنده وعلى رأسهم الأنبياء.. بقوله تبارك وتعالى:

﴿ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾

(من الآية ٩٠ سورة الأنبياء)

والمسارعة فى الخير مطلوبة .. لأن الإنسان لا يضمن غده، وهذه إحدى حكم إخفاء موعد الموت .. كى نسارع بالعودة إلى منهج الله قبل أن يدهمنا الموت فى أى لحظة من ساعات الليل أو النهار.

وإذا أردنا أن نجمل ما فصلنا فى هذا الباب فإننا نقول: إن هذا الكون كله مخلوق للإنسان، مسخر له بقدرة الله وليس بذاته، وأن العلم الذى يكشفه الله لنا هو من قوانينه فى الأرض التى تعمل منذ بداية الخلق .. ولكنها كانت غيبا عنا، وأن الإنسان لا يملك فى هذا الكون حتى نفسه، فالروح التى تدخل الجسد لتعطيه الحياة وإذا خرجت يموت هى من أمر الله، لم يطلع أحداً منا على سرها .. وإذا كان الإنسان لا يملك حياته فى هذا الكون .. فكيف يملك الكون نفسه؟.

إن الدنيا كلما اقتربت من نهايتها، يشعر الإنسان أنه قادر عليها .. فيستخدم ما كشف الله له من علم فى محاربة الايمان !! بدلا من أن يستخدمه فى

الاعتراف بعظمة الله وقدرته.

ولكن كيف يستقبل المؤمن ذلك العلم الذى يتقدم كل عام ؟..

وما هو المنطق الايمانى الذى يتلقاه به ؟..

وكيف أن الإنسان فى نهاية الكون سيعتقد أنه قادر على كون الله ؟!.

هذا ما نفصله إن شاء الله فى الفصل التالى..

الفصل الثالث

الإستقبال الإيماني للحياة

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نستقبل الحياة استقبالا إيمانيا .. بحيث يذكرنا كل تقدم يحدث فى الكون بقدرة الله وعظمته فنزداد يقينا .. ولكننا فى الحقيقة نفعل عكس ذلك. فكلما تقدم الزمن وثقنا فى قدرة الإنسان، وبعدنا عن منهج الله. ورغم أن الله تبارك وتعالى قد بين لنا أن كل أحداث هذا الكون موجودة فى علمه قبل الخلق، فإن هناك من يدعون أن الإنسان الذكى يستطيع أن يصنع قدره بنفسه، وأنه كلما تقدم العلم ليعطينا شيئا جديدا من قوانين الكون .. نحسب أننا نحن الذين وضعنا هذه القوانين، وأنها تعمل بأمر منا وليس بقدرة من سخرها لنا، وأننا قادرون على أن نجعل الأحداث تفعل ما نشاء وتحقق لنا ما نريد بعلمنا، ولكن الإنسان أعجز من أن يفعل شيئا فى الكون، ذلك أن الكون لا يخرج عن مراد الله الفعلى.. ولاشىء فى كون الله يخرج عن أمره.

قد يقول بعض الناس.. وهل الذين كفروا ولم يؤمنوا بالله أرادهم الله تبارك وتعالى كفارا؟..

نقول لهؤلاء: إن الكفار خالفوا مراد الله (الشرعى) فى كونه، ولكنهم لا يستطيعون أن يخالفوا أمر الله (الفعلى) فى كونه. إن فى مقدورهم أن يخالفوا

مراد الله الشرعى فى الأمر والنهى، وذلك لأن الله خلقهم مختارين فى أن يطيعوا أو أن يعصوا، ولولا أنه سبحانه وتعالى أعطاهم حرية هذا الاختيار، ما كان واحد منهم يستطيع المعصية، فكل ما فى الكون مخلوق على القهر.. إلا الإنس والجان فلهم حرية الاختيار فى المنهج فى افعل أو لا تفعل.

إننا نقول لهؤلاء الناس الذين يدعون أن لهم اختيارا فى كون الله، واختيارا بلا حدود، والقول موجه لكل واحد منهم: إذ كنت قد تأبيت على طاعة الله فى منهجه ورفضتها، فلا تحسب أن لك اختيارا كاملا فى الكون، بل أنت خاضع لأقدار الله.. وإلا فقل لى هل فى استطاعتك أن تدفع عن نفسك المرض وتختار الصحة ؟ بالقطع لن تستطيع، وإذا جاءك الموت فتمرد على قدر الله وقل: لن أموت، ولكنك لا تستطيع، وإذا اصابتك مصيبة فى أهلك أو أولادك فامنعها. ولكنك لا تستطيع، وإذا توقف قلبك فأعد إليه النبض مرة أخرى .. ولكنك لا تستطيع .. ذلك أنك مقهور فى أشياء، مختار فى أشياء أخرى .. والاختيار جاءك بمشيئة الله، فلا يغرك هذا الاختيار لتحسب نفسك أصيلا فى الكون!

لقد صنع الإنسان ـ بعد أن كشف الله له بعض أسرار كونه ـ ما يطير به فى الجو، وما يغوص به فى أعماق البحار، وما يحمله إلى سطح القمر، وما يقرب له البعيد، فظن أنه أصبح قادرا على كل شىء.. نقول لمن يدعى ذلك بغير علم إنك إذا كنت قادراً كما تدعى .. فقدرتك على الشىء تجعلك قادرا على أن تستبقيه لنفسك، ولكنك قد قدرت بأمر الله على أن تستفيد من قوانين الله فى الأرض، ولكن لا تستطيع أن تجعل هذه القوانين وفق هواك. فما يحدث فى الكون خارج عن قدرة البشر جميعا.. وإلا لما فاجأت الأحداث الناس، وما كان من يملك لا يملك، ولما وجد من كان يحكم شعبا أو دولة نفسه بين يوم وليلة طريدا مذعورا، يهرب من مكان إلى مكان.. يختفى من الناس ليحاول استبقاء حياته، ثم يعثرون عليه فتكون نهايته.

إن الله وحده الذى له الحكم والأمر هو الذى يمكن أن ينزع منه الحياة أو الحكم أو المال بين يوم وليلة.. أو بين لحظة وأخرى. ولو أنه جاء إلى الحكم باختياره وقدراته، لما استطاع أن ينتزعه منه أحد.. ولكنه جاء بقدرات الله وبأسباب الله فى كونه.. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن ينتزع منه ما وهبه إياه واستخلفه فيه فى أية لحظة .. وإقرأ قوله تبارك وتعالى:

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير ﴾

(الآية ٢٦ سورة آل عمران)

إذن الملك لا يأتيك بأسبابك، ولا ينزع منك بإرادتك.. ولكنها أقدار الله سبحانه وتعالى هى التى تعطيك الملك وهى التى تنزع منك الملك. فإذا احترمت قدر الله فيك.. أعطاك ماتشاء، وإذا حاولت أن تتمرد .. أخذ منك ما أعطاك.

الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى:

(ياابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك، وإن لم ترض بما قسمته لك، فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحوش فى البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما).

الله سبحانه وتعالى يهب من قوته قوة، ومن غناه غنى، ومن قدرته قدرة. ولكن الإنسان يعتقد أنه هو الذى أخذ هذا بذاته، وأنه يستطيع أن يفعل وأن يغير وأن يبدل.

لقد استطاع البشر خلال ارتقاءات حياتهم المادية أن يتوصلوا إلى أشياء وإلى اكتشافات، ولكن كل الاكتشافات العلمية لا تستطيع أن توجد من عدم، وإنما هم يأخذون المادة التى خلقها الله ويستخدمون العقل المخلوق من الله فيما يفعلون.

وعلى سبيل المثال الذى يصنع الكوب يستخدم المادة الموجودة فى الأرض من الرمال الخاصة، والطاقة التى خلقها الله فى الكون لصناعة هذا الكوب، ولكن هناك فرق بين ما يصنعه البشر، وما يتم بقدرة الله تبارك وتعالى.

وكل صناعات البشر لا يستطيع الإنسان أن يهب لها الحياة، ولايجعلها تتكاثر بذاتها لتعطيك مثلها. فلا يستطيع إنسان أن يصنع كوبا ذكرا وكوبا أنثى ثم يجعلهما يتكاثرا بذاتهما، كما أنه لا يستطيع أن يعطيهما خاصية النمو، بحيث تنمو الكوب الصغيرة وتصبح كوباً كبيرة. فصنعة المخلوق تبقى على حالتها ولا تنتج مثلها، ولكن صنعة الله سبحانه وتعالى تختلف، ذلك أنه خلق من غير موجود .. أى أنه ليست الصنعة فقط من خلقه، ولكن المادة أيضا من خلقه، وليست الصنعة على غرار شيء موجود، ولكنها خلق من غير موجود .. هذا هو الفارق بين صنع الخالق، وصناعة المخلوق.

الله أحسن الخالقين

إن صنعة الله خلق ينمو بذاته، ويعطى مثله ليتكاثر ذاتيا، والمخلوق لا يستطيع أن يفعل ذلك، ومع ذلك ما ضن الله على خلقه بأن يسميهم خالقين، واحترم عمل عقولهم فيما أوجدوا، ولكنه سبحانه وتعالى سمى نفسه أحسن الخالقين .. واقرأ قوله جل جلاله:

﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾

(من الآية ١٤ سورة المؤمنون)

إن الله سبحانه وتعالى خلق من لا شيء، وانت خلقت من شيء موجود. وهو سبحانه خلق مايحس وينمو، وأنت صنعت ما لا يحس ولا ينمو، وهو جل جلاله خلق شيئا يتكاثر من مثله، وأنت لا تستطيع ذلك.

إننا إذا أردنا الطعام مثلا ... نأتى الأرض نحرثها ونزرعها، ثم نحصد ونطحن ونخبز ونعد الطعام. إذن أنا أخذت من كون الله الفكر الذى أعطاه لى، والطاقة التى زودنى بها، وكل هذه الأشياء موهوبة من الله، وكل ما فعلته أننى استخدمت موجودا.. ولكن الأصل في الوجود لم آت به، ذلك أن الخالق الأول من الله سبحانه وتعالى.

حبة القمح التى زرعتها وأنتجت لك المحصول من أين جئت بها؟.. من المحصول الذى قبله. ومن أين أتيت بالمحصول الذى قبله؟ .. من ذلك الذى زرع منذ عامين .. وتظل تمضى فى تتبع حبة القمح التى فى يدك، لتصل بها إلى البداية.. وهى أنها من صنع الله الذى أتقن كل شىء.. من الله سبحانه وتعالى .. وهل أوجدها اللـه جل جـلاله من محـصول سبق؟.. لا وإنمـا أوجدها من عدم.

وكذلك كل ما فى الكون .. الايجاد الأول من الله. والله سبحانه وتعالى هدى الإنسان إلى أن يعرف خصائص هذا الوجود الأول، ليأخذها وتعطيه وجودا ثانيا وثالثا ورابعا وهكذا، ثم بعد ذلك تدور دورة الحياة مرات ومرات .. واقرأ قوله سبحانه وتعالى:

﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الأنبياء)

وهكذا نصل يقينا إلى أن أصل كل شىء فى الدنيا من الله سبحانه وتعالى. إنهم يتحدثون الآن عن الصفات الوراثية، وما يمكن أن تؤدى من تحسين أنواع النبات وغير ذلك.

ونحن نقول لهم: هل هذه الصفات الوراثية أنتم أوجدتموها، أم هى من

خلق الله سبحانه وتعالى؟ .. إذن فأنتم تأخذون من موجود، ولكن إذا أردتم أن تنسبوا لأنفسكم هذا الخلق.. فأوجدوا أنتم صفات وراثية من عدم، فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا، فاحترموا خلق الله فى كونه، وانسبوا كل شيء إلى الله .. لا إلى ذاتكم.

هذا خلق الله

الإنسان حين يرى المدنية والتقدم .. فإن عليه أن يفكر تفكيرا إيمانيا فيما وصل إليه، من مدنية وتقدم، وأن يرى بعين بصيرته تسخير الله لهذه الموجودات..

لقد كنت مرة فى زيارة لمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية وأرادوا أن يبهرونى بما استطاع أن يحققه العلم، فأخذونى إلى أضخم الفنادق التى يدار فيها كل شيء بالأزرار، والتى تتم فيها الخدمة بطريقة آلية.. بحيث تحصل على ما تريد وأنت جالس فى غرفتك. تضغط على زر فيأتيك فنجان القهوة الذى تريده. وتضغط على زر فيأتيك فنجان الشاى أو الطعام الذى تريده. وقالوا ما رأيك؟.. قلت إذا كان هذا ما استطاع البشر بقدرات البشر أن يصنعه.. فكيف ستكون الجنة التى هى مخلوقة بقدرات الله سبحانه وتعالى .. لابد أن فيها من النعيم أضعاف أضعاف ما يمكن أن يقدمه البشر مهما ارتقوا بالأسباب.

ثم إن هذا الذى يتم سبقه إعداد بشرى اشترك فيه عدد كبير من الناس، فهناك من طحن البن، ومن أعد الماء الساخن، ومن وضع السكر. وهناك من يراقبه حتى لاينفد. فإذا شعر أن الموجود قليل وضع كميات جديدة.

إذن فكل نعيم يصنع بالقدرات البشرية وليس كما نراه يحدث فى دقيقة بالضغط على الزر، ولكن وراءه إعداد طويل اشترك فيه عدد كبير من الناس.

فليست المسألة ـ إذن ـ فى أن تضغط على زر فتعطيك الآلة ما تريده.. هذا

هو ظاهر العملية. ولكن البشر مهما ارتقوا فى العلم، هل يستطيع هذا العلم أن يمدك بما تريده بمجرد أن يخطر الشيء على بالك فتجده أمامك؟ هذا مستحيل وغير متصور على الاطلاق. ولكن فى الجنة وبقدرات الله سبحانه وتعالى .. بمجرد أن يخطر الشيء على بالك تجده أمامك. ولا تجده أمامك بالامكانيات البشرية، ولكن بقدرات الله تبارك وتعالى.. ذلك هو المنطق الإيمانى.. الذى يجب أن نأخذ به كل تقدم علمى.

فإذا قيل لنا مثلا إننا نستطيع أن نستقل الطائرة، وخلال أقل من ساعة نصل إلى آخر الكرة الأرضية. وهذا ما لم يحدث حتى الآن .. ولكن لو أنه حدث فيجب أن نستقبله بكلمة «سبحان الله».. ونقول إن هذا تم بقدرات وأسباب البشر.. فما الذى سيحدث لنا بقدرات الله تبارك وتعالى؟

إن كل هذا التقدم العلمى.. هو كشف لقوانين الله فى الأرض.. هو أخذ بالأسباب، ولكن أى نعيم ذلك الذى سنلقاه إذا انتقلنا من قانون السبب إلى قدرة المسبب؟..

إن هذا الارتقاء البشرى إنما يقرب إلى أذهاننا القدرات التى وضعها الله فى كونه لنعرف عظمة الخالق، وندرك أن ما سنلقاه فى الآخرة سيكون نعيما لا يوصف، فلا تبعدنا هذه الأشياء عن الإيمان.. ولكن يجب أن تقربنا منه .. ولا تغرنا هذه الأشياء بأنفسنا وعقولنا، ولكن تزيدنا خضوعا لله سبحانه وتعالى لكننا ـ وللأسف الشديد ـ لا نتلقى العلم بهذا المفهوم الإيمانى، بل نتلقاه بأن الإنسان قد أوجد فى الكون ما يفوق كل القدرات!!

حين وصل الإنسان إلى القمر ماذا قال الناس فى تفسير الآية الكريمة التى تقول: **﴿ يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان﴾**

(الآية ٣٣ سورة الرحمن)

بعضهم قال إن الإنسان قد نفذ من أقطار السماوات والأرض رغم أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السموات والأرض.. بعض العلماء أراد أن يسهلوا المسألة على الله تبارك وتعالى (!!) وقالوا إن المقصود بهذه الآية (سلطان العلم) ونقول لهم: إن المقصود هنا هو سلطان الله سبحانه وتعالى، فلا تسهلوا المسألة ولا تهونوا من قدرات الله جل جلاله.

إن القمر الذى وصلوا إليه هو ضاحية من ضواحى الأرض، وهو أقرب الكواكب إليها، وأين القمر من أقطار السموات والأرض؟ .. إنه كوكب من كواكب السماء الدنيا التى تعلوها سبع سموات، كل سماء تحتل مساحة هائلة لايدركها إلا خالقها والله تبارك وتعالى يقول:

﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾

(الآية ٦ سورة الصافات)

فكل ما نراه ونحن على الأرض.. هو بعض ما فى السماء الدنيا، ولكن هناك كواكب تبعد عنا مليون سنة ضوئية.. أى لو أن الإنسان سافر بسرعة الضوء، وهى سرعة هائلة، وكل الطاقة الموجودة على الأرض لو جمعت فإنها تعجز عن دفع بشر واحد إلى الفضاء بسرعة الضوء، فضلا عن أن الجسد البشرى لا يتحمل هذه السرعة.

نقول إنه لو فرضنا أن إنسانا سافر بسرعة الضوء، فهو يحتاج إلى مليون سنة لكى يصل إلى هذه الكواكب.. هذا ما عرفناه.

ولكن هناك كواكب وعوالم وشموساً لا نعرف عنها شيئا.. فإذا كان العلم البشرى قد استطاع أن يصل بواسطة إطلاق التليسكوبات فى الفضاء إلى هذا البعد الموجود فى السماء.. فما هو الحجم الحقيقى لأقطار السموات والأرض؟..

وأين هذا البعد من قرب القمر من الكرة الأرضية؟. طبعا بعد القمر يساوى لا شيء بالنسبة لحجم السموات التى لا يمكن لأحد من البشر أن يصل إلى مداها.. إلا بسلطان الله تبارك وتعالى.

ولكن لماذا قال الله سبحانه: «إلا بسلطان» .. ولم تقف الآية عند قوله: «يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا» ؟..

والجواب أنه لو توقفت الآية الكريمة عند استحالة نفاذ الجن والإنس من أقطار السموات والأرض .. لكان ذلك يلقى الشك على معجزة المعراج لرسول الله ﷺ. فرسول الله ﷺ وحده دون كل خلق الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم تجاوز سدرة المنتهى .. وهى المكان الذى ينتهى فيه علم كل خلق الله حتى الملائكة المقربين .. ولو بالوحى.

إن قول الحق سبحانه وتعالى: «لا تنفذون إلا بسلطان» .. أكد مصداقية معجزة المعراج، لأن رسول الله ﷺ وصل إلى سدرة المنتهى وتجاوزها بسلطان الله جل جلاله.. ذلك أن جبريل كان يتقدم رسول الله ﷺ فى رحلة المعراج وهو يصعد السموات سماء بعد أخرى .. إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى.. فتوقف جبريل وطلب من رسول الله ﷺ أن يتقدم .. وقال جبريل لرسولنا عليه الصلاة والسلام: لو تقدمت لاحترقت، ولو تقدمت أنت يامحمد لاخترقت.. وكل هذا حدث بسلطان الله تبارك وتعالى وقدرته وحده .. ذلك أن تكوين جسد رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يتغير كلما صعد من سماء إلى أخرى، ليتحمل ذلك النور الإلهى فى السموات.

إننا نقول لهؤلاء الذين يقولون إن المقصود فى الآية هو سلطان العلم.. أين

سلطان العلم من قدرة الله سبحانه وتعالى؟.. وإذا كان الله جل جلاله يقول فى محكم آياته:

﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾

(من الآية ٨٥ سورة الإسراء)

فهل هذا العلم القليل هو السلطان الذى سينفذ به الإنسان من أقطار السموات والأرض؟ .. طبعا لا .. ولذلك كل من قال إنه سلطان العلم متجاوز فى التفسير، ولكنه سلطان الله تبارك وتعالى الذى صعد به نبينا ﷺ إلى سدرة المنتهى وتجاوزها.

الإيمان والتقدم العلمى

وأقول لمن يغترون بالعلم البشرى.. إن قليل العلم الذى أعطاه الله للإنسان هو الذى صنع كل هذه الحضارات والتقدم العلمى المذهل الذى نراه والذى ستراه الأجيال القادمة من بعدنا إلى يوم القيامة. فإذا كان قليل العلم هو الذى صنع هذا كله، فماذا يمكن أن يصنع لنا علم الله فى الآخرة؟

إذن فالتقدم العلمى كان يجب أن يزيدنا إيمانا بالله وخشوعا له سبحانه ونحن نعيش فى عالم الأسباب، وهذا العالم تتفاوت فيه قدرات الناس فى الإقبال على أسباب الله..

إن يد الله ممدودة بالأسباب لكل خلقه، والذى يأخذ الأسباب بجدية يقوى على غيره، فقطعة الأرض التى يعتنى بها الإنسان ويحرثها جيدا وينتقى لها البذرة الصالحة.. تعطيه محصولا جيدا، وذلك الذى يترك الأرض بلا حرث ولا زراعة لا تعطيه شيئا، وهذا عطاء ربوبية.

لقد خلق الله فى هذا الكون أشياء تنفعل «لك»، وأشياء تنفعل «بك» .. الأشياء التى تنفعل لك تعطيك بلا مقابل، وبلا جهد، وبلا عمل منك.. عطاء لا عمل لك فيه. فالشمس والقمر والنجوم والغلاف الجوى كلها تعطيك دون أن تحتاج منك إلى جهد أو عمل من أى نوع كان .. وعطاؤها متساو للجميع .. لا تعطى واحدا أكثر من الآخر، ولا تخص شعبا أو مجموعة من الناس بعطاء تحجبه عن الآخرين. هذه هى الأشياء التى تنفعل لك.

أما الأشياء التى تنفعل بك.. فهى كل ما على الأرض. إذا حرثت وبذرت تعطيك الأرض الثمر، وإذا لم تحرث، ولم تبذر لا تعطيك شيئا. إذا بحثت فى باطن الأرض تجد البترول والمعادن وغير ذلك مما هو فى باطن الأرض، وإذا لم تبحث لا تعطيك الأرض من كنوزها شيئا.

إن الرقى فى الحياة الدنيا والتفاوت بين الدول المختلفة إنما يأتى من الأشياء التى تنفعل بك. فمن عمل بجد واجتهاد يرتقى فى الأسباب ويتقدم بين الأمم، ومن لا يعمل لايأخذ شيئا.

لقد كان الأجدر بنا ـ كأمة مؤمنة ـ أننا كما نرتقى فى عطاء الألوهية، نأخذ بالأسباب فى الأرض لنرتقى فى عطاء الربوبية، ولكننا لم نفعل، وتركنا غيرنا يرتقى بالأسباب ونحن لا نفعل شيئا !!.

الأمم التى أخذت بالأسباب .. أعطاها الله سبحانه وتعالى حرث الدنيا ولو كانت كافرة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب﴾

(الآية ٢٠ سورة الشورى)

إن عطاء الدنيا هو عطاء ربوبية لابد أن نأخذ فيه بالأسباب.. الله سبحانه وتعالى أعطانا فى بداية الخلق وبلا أسباب مقومات ضروريات الحياة واستمرارها.. فمنذ عهد آدم والماء والهواء والطعام وهى ضروريات الحياة مكفولة للإنسان، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى استدعاه للوجود، فكان لابد أن يضمن له مقومات حياته.. لذلك أوجد سبحانه الماء الذى يشرب منه، والثمار التى يأكلها لتحفظ حياته.. والهواء الذى يتنفسه، والأرض التى يسكنها.. كل هذا من ضروريات الحياة وجده الانسان من أول الخلق على الأرض دون أن يبذل جهدا فيه. فإذا أردت أن أترف حياتى وأرتقى بها، فلابد أن أعمل عقلى المخلوق والمسخر لى من الله .. وبذلك أصل إلى حياة الرفاهية التى كما قلنا يتم فيها الشىء فى زمن أقل وبمجهود أقل.

آيات الله .. وارتقاء الكون

لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى ضروريات الحياة، وأعطانا العقل والأسباب التى تعطينا ترف الحياة، ثم طلب منا أن نتدبر فى آيات الكون، وألا نمر على هذه الآيات ونحن غافلون عنها .. لذلك فإن التقدم الذى حدث كله.. حدث من علماء تدبروا فى آيات الكون، واستطاعوا أن يصلوا إلى قوانين الله فى كونه.. وأن يستخدموها فى التقدم بحياتهم .. هذا هو العلم .. الأخذ بآيات الله فى الأرض.

ولكن هل خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعيش فى كون الأسباب فقط ؟.. لا .. إن هذه مرحلة من رحلة الحياة الطويلة، وفى المرحلة التى نعيشها فى كون الأسباب لابد أن نتعب حتى نستريح، فالذين قدموا كل الاختراعات للبشرية تعبوا حتى وصلوا إليها.. ربما سهروا ليالى طويلة بلا نوم.. واجتهدوا حتى وصلوا إلى مايريدونه .. هذا هو قانون الدنيا، فلابد لكى تنجح أن تذاكر .. ولابد لكى تحصل على مرتب أن تعمل .. وهكذا.

إن الله تبارك وتعالى يريد أن ينبهنا إلى أن هناك عطاء آخر غير عطاء الربوبية وهو عطاء الألوهية، ولكى تستحق عطاء الألوهية لابد أن تجد وتعمل من الصالحات فى الدنيا، وأن تلتزم بمنهج الله حتى تستريح فى نعيم الله فى الآخرة.

وأنت مهما تعبت فى الدنيا ومهما تنعمت، فإن مصيرك إما أن تفوتها بالموت، وإما أن تفوتك هى بقلة عطائها لك.. ولكن الله سبحانه وتعالى فى الآخرة يجعل النعيم خالدا إذا أنت تعبت فى العمل بمنهجه فى الدنيا.

وبإيجاز نقول: إن المنهج الإيمانى كان يقتضى أنه كلما زاد الإنسان رقيا فى العلم.. ازداد إيمانا وخشوعا لله سبحانه وتعالى .. وأننا يجب أن ننسب كل شىء فى الكون إلى خالقه وموجده وهو الله سبحانه وتعالى .. ونعرف أنه ماكان من الممكن أن نتقدم، أو نزداد ترفا فى الكون، إلا لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع فى كونه من الأسرار والقوانين ما يمكننا من ذلك، ولكننا بدلا من أن ننسب الشىء لفاعله، نسبناه لأنفسنا، واعتقدنا أننا حققنا ذلك بذاتيتنا .. وبعلمنا وحسبنا أننا نسيطر على الأشياء بعقولنا وبقوانيننا .. وليس بتسخير الله لهذه الأشياء لنا.

وكانت هذه هى بداية البعد عن منهج الله .. والإيمان بمناهج البشر .. لأن الإنسان اغتر بعقله وقدرته.

الفصل الرابع

المألوف ينتهي

الإنسان يعيش فى الدنيا وقد ألف أشياء تعود على رؤيتها ومعايشتها حتى صارت جزءا من حياته لا تلفت انتباهه، وهو ما نسميه الثابت وغير المتغير فى الحياة الدنيا.. إنه ألف أن تشرق الشمس كل يوم وأن تغرب، وألف الليل والنهار، وألف البحار بقوانينها، والأرض بمظهرها الثابت غير المتغير.. ألف كل عطاء الأشياء الثابتة فى هذا الكون. ولذلك هو لا يفكر فيها.. إنه يأخذها وكأنها حق مكتسب، لا يتأمل فى خلقها ولا فى نظامها، وقد لا يتساءل عن القوة والقدرة التى خلقتها والتى تحفظها وتبقيها تعمل بهذا النظام الدقيق.. ولذلك فإن هناك عددا كبيرا من الناس لايفكرون فى تلك العطاءات الثابتة فى الكون.. بل يأخذونها كأشياء تعمل بذاتها، وتعطيهم من نفسها !!

إن من العجب حقا أن الناس تزداد علما كلما تقدم الزمن، ولكنها ـ فى نفس الوقت ـ تقل عملا بمنهج الله! نحن كل يوم نزداد علما بقوانين الله وآياته فى كونه، وكان من المفروض أن ذلك العلم يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى، لأنه يكشف لنا من أسرار قدرة الله فى كونه، ولكن زيادة العلم تزيد من شهواتنا بالنسبة للحياة الدنيا وتمسكنا بها.. ونظراتنا المادية إليها، فكلما تقدم الوقت.. سيطرت الشهوات على النفس البشرية، فكل يوم يمر يعطينا زيادة فى العلم

ونقصا فى العمل بمنهج الله.

وذلك مصداقا لقوله جل جلاله:

﴿ أن رءاه استغنى إن إلى ربك الرجعى﴾

(الآيتان ٦ ، ٧ سورة العلق)

أى أن الطغيان البشرى يأتينا حينما نظن أننا قد استغنينا عن الله سبحانه وتعالى، ولم نعد فى حاجة إلى العبادة. فالعلم ظاهرا يحقق لنا ما نريد. إذا أردنا السفر وجدنا طرقا مريحة سهلة وسريعة فى طائرات مكيفة الهواء، لايحس الانسان فيها بتعب، وإذا أردنا الطعام والشراب وجدناه معدا لنا بطريقة حديثة وفى أكياس نظيفة، وتستطيع وأنت جالس فى بيتك أن تستخدم التليفون فيأتيك كل ماتريد، وإذا أصبنا بمرض وجدنا أحدث الأجهزة العلمية التى تصور لنا كل ما هو داخل أجسامنا وكنا نجهله، وتبين لنا أين المرض وما هو نوعه؟ وما هى طريقة علاجه؟ إن الأجهزة الحديثة تصور لنا مقاطع من كل ما فى جسد الإنسان.. مقاطع من المخ تبين لنا مكان الجلطة أو الإصابة، مقاطع من الكبد تحدد لنا أين المرض وما هى درجته .. وما هى وسيلة علاجه..

ولقد تقدمت محاليل الدم.. لتعطينا صورة دقيقة لكل مكونات الدم .. حتى أصبح الناس يعتقدون أن الطبيب هو الذى يشفى!! بينما الطبيب يعالج فقط، والله هو الذى يشفى..

وقد يكون العلاج خطأ فيكون من أسباب انتهاء الأجل.. وقد يأتى الشفاء على يد طبيب شاب حديث التخرج، بينما فشل أساتذته الذين علموه فى معرفة أسباب الشفاء..

وليس معنى ذلك أن الطبيب الشاب يعرف أكثر من أساتذته الذين أخذ العلم

عنهم ولكن معناه أن لكل شفاء موعدا حدده الله سبحانه وتعالى. فإذا جاء موعد الشفاء، كشف الله لهذا الطبيب الناشيء .. عن سر الداء فعالجه، بينما فشل أساتذته فى الوصول إلى العلاج، ولكن الناس لا تلتفت إلى هذا بل ينسبون الشفاء إلى عبقرية الطبيب!

وهكذا يقل تذكر الناس للقدرة الإلهية، ويزيد اعتمادهم على القدرة البشرية وما تستطيع أن تحققه ظاهرا، فيلتفتون إلى أسباب البشر وينسون المسبب !! ويعبدون النعمة وينسون المنعم!! فإذا أحضر أحدهم نوعا من الفاكهة الممتازة يقول هذا من إنتاج مزارع فلان!! وينسى أن المعطى وخالق هذا هو الله سبحانه وتعالى..

إن قليلا منا ـ للأسف ـ هم الذين إذا بدأوا فى تناول الطعام بدأوه بسم لله الذى أعطى وخلق ووهب.. وإذا اشبعوا فإن الكثيرين منهم نادرا ما يقولون الحمد لله الذى رزقهم بهذه النعم.. بل إن الإنسان يعبد عقله، فيعتقد أن ما حققه فى الحياة من نعم.. هو من ناتج هذا العقل لأنه ذكى، ولأنه مفكر وعبقرى، ويتباهى بذلك أمام الناس، ويعتقد أن النعمة لا تزول عنه لأنه يحسن التصرف ويحتاط لكل شيء، تماما مثل صاحب الجنتين الذى نسب النعمة لنفسه .. وقال كما يروى لنا القرآن الكريم:

﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا﴾

(الآيتان ٣٥ ، ٣٧ سورة الكهف)

فكأن صاحب الجنتين قد نسب النعمة لنفسه، وقال إنه بأسبابه البشرية قادر على أن يحفظ النعمة ويبقيها، وأنها لا تزول عنه أبدا !

ونحن حين نرى شيئا جميلا لابد أن نمتدح الصانع، ولكننا فى هذه الأيام نمتدح البشر فنقول إن فلانا جعل من أرضه جنة!! وإن فلانا قد فعل كذا وكذا، وإن فلانا قد اخترع كذا وكذا، ولانقول بعون الله وبتوفيق الله.. ولانذكر الله تبارك وتعالى الذى هو المعطى وهو المانع !!

اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع

وما دمنا نعتمد على أشياء تعطينا الراحة وتحقق لنا النعيم، نحسب أننا قد استغنينا بعملنا عن قدرة الله، ويؤمن الإنسان بنفسه، حتى أنه يشرع لنفسه بما يتناقض مع منهج الله، ولا يكتفى بهذا، وإنما يصف المنهج السماوى بأن فيه قسوة !! ويفترى بأن فيه تخلفا أو أنه لا يساير العصر !! والحقيقة أن الذى يتخلف هو الذى يبتعد عن منهج الله.

وسر ارتكان الإنسان إلى الحياة المادية واعتماده عليها إنما حدث لأن هذه المادية لاتقيدنا بسلوك معين يمنع شهواتنا، بينما منهج الله يقيد سلوكنا فى الحياة بما يحقق لنا الحياة الكريمة، ولكننا لا نلتفت إلى ذلك..

ليس معنى أن الله سبحانه وتعالى عندما قال لى لا تسرق قد قيد حريتى فى أن أمد يدى إلى مال غيرى.. هذه نظرة ضيقة ولكنه فى الحقيقة قد قيد المجتمع كله فى أن يمد يده إلى مالى.. فحمانى ـ وأنا الفرد الضعيف ـ من مجتمع يمكن أن يجردنى من كل شيء.

وحين يطلب منى سبحانه وتعالى. ألا أعتدى على عرض غيرى، يكون قيد حريتى فى أننى إذا أعجبت بامرأة متزوجة من غيرى أن أغريها وأعتدى عليها، ولكننا لا ننظر إلى أن الله سبحانه وتعالى قد منع الألوف من الأزواج والشباب فى أن يعتدوا على عرضى ليصبح مباحا للجميع.

هذا ما يفعله منهج الله.. إنه يحمينى، ويحمى مالى وعرضى وأولادى.. ولكن نظرتى الضيقة وشهوتى العاجلة .. تنسينى ما حمانى الله منه، ولهذا كلما تقدمت الحضارة المادية .. انحدرت الأخلاق وتدهورت، وأصبح ما هو حرام مباحا فى عرف المجتمع وليس بقوانين الله.

إن الإنسان حين يظن أنه قد استغنى بعلمه أو بجاهه أو بماله أو بقوته، أو بأى شىء مما أفاء الله به عليه.. يأتى الله جل جلاله ليخرجه من هذا الظن إلى الحقيقة، ويحدث ذلك إما بالموت، وإما بقيام الساعة وتدمير كل ما هو مألوف للإنسان فى الدنيا يعتقد أنه حققه بذاته، ليقول له الله سبحانه وتعالى .. مادمت قد حققته بذاتك فاحتفظ به إن استطعت إلى ذلك سبيلا..

إن الحقيقة الأولى فى الحياة هى الموت، والموت يقف أمامه كل ما فى الدنيا عاجزاً خاشعا ذليلاً، فأشهر الأطباء الذين اعتقد الإنسان أنهم يحافظون على صحته، وأنهم يستبقون الحياة فى جسده، يقفون عاجزين خاضعين أمام الموت لايملكون حيلة ولايستطيعون سبيلا..

كذلك النعمة التى اعتقد الإنسان أنها تستطيع أن تحقق له ما يشاء وما يريد، وأنه بقوته وسلطانه يستطيع أن يفعل مايشاء .. تقف هى الأخرى عاجزة عن أن تعطيه من القدرة والقوة ما يبقى الحياة فى جسده. وفى ساعة الاحتضار يرى الانسان كل ماغاب عنه وكل ما أخبره الله به وطلب منه أن يؤمن به يراه أمامه شاهدا .. إنها اللحظة التى تخمد فيها البشرية.. ويصبح الإنسان الذى كان يعتقد أنه القادر العزيز القوى .. ذليلا خاشعا لايقدر على شىء !..

وبخروج الروح يخرج الإنسان عن كل مألوف الحياة إلى عالم آخر لا إلف له به، والموت ليس نهاية كما يعتقد كثير من الناس .. ولكنه انتقال من حياة إلى حياة.. من حياة دنيوية لها قوانينها .. إلى حياة برزخية لها قوانين أخرى .. ويرى

ما لم يكن يراه .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾

(من الآية ٢٢ سورة ق)

ويقول رسول الله ﷺ في حديثه الشريف:

(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)

كيف يقول رسول الله ﷺ، «إن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ؟!» كيف يقول الرسول ﷺ .. «إن الناس نيام» بينما هم فى حياة اليقظة التى يعيشون فيها؟ «فإذا ماتوا انتبهوا» .. وكيف يكون الانسان وهو مستيقظ وحى يملأ الأرض حركة نائما؟ .. فإذا مات ورقد فى قبره يكون منتبها ؟..

نقول إن الناس فى الحياة الدنيا تشغلهم شهواتهم وأموالهم وما يريدون تحقيقه فيها.. يشغلهم كل هذا عن حقيقة الحياة الدنيا، فلا يتدبرون فى آيات الله.. ويسوق الله سبحانه وتعالى لهم الدليل بعد الدليل.. ليجعلهم يؤمنون ولكنهم يعرضون، فكأنهم نيام عن حقيقة ما حولهم، فإذا ماتوا رأوا كل شىء مما وعدهم الله به واضحا جليا لا لبس فيه، فتكون هذه لحظة الانتباه إلى الله ومنهجه وحقيقة هذا الكون.

إن الإنسان النائم يسير على غير هدى لأنه مغمض العينين.. فإذا أبصر رأى وعرف. إذن أول مايخرج الإنسان عما ألفه فى الدنيا هو الموت، والإنسان عندما يحتضر يرى مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار .. إنه ساعة الاحتضار يعرف يقينا أنه سيموت لما يراه فى هذه الساعة .. والناس تعتقد أن الاحتضار بالنسبة لكل إنسان مساو للآخر، فكل إنسان يحتضر ويموت، ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه ساعة الاحتضار يودع الحياة الدنيا ولايخرج كل منا بنفس الطريقة، بل

ومن هنا يبدأ الاختلاف واقرأ قول الله جل جلاله:

﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾

(الآية ٣٢ سورة النحل)

إذن فالإنسان الصالح المؤمن حين يحتضر يرى الملائكة، والإنسان الكافر غير المؤمن يرى أيضا ساعة احتضاره الملائكة، ولكن الصورة مختلفة تماما..

فالإنسان الطيب المؤمن يرى ملائكة الرحمة يدخلون عليه مبشرين بالجنة، ويقرأون عليه السلام.. وتكون وجوههم مستبشرة، وحينئذ يفرح الإنسان المؤمن .. لأنه سينتقل إلى حياة طيبة أحسن مما كان فيه فى الدنيا، ويكون وجهه مستبشرا وأساريره منفرجة وهو يرى أن دار الاختبار قد انتهت، وأنه سينتقل إلى دار النعيم يتمتع فيها بقدرات الله تبارك وتعالى، يتهلل وجهه، وحين تنظر إليه وهو يحتضر تعرف أنه يحس بأنه منتقل إلى مكان أعلى من الذى عاش فيه، وأن وعد الله له بحسن العاقبة قد تحقق بالفعل.

والكافر يرى الملائكة أيضا وهو يحتضر .. وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى يصف هذا اللقاء المشئوم:

﴿ ولوترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوهم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾

(الآيتان ٥٠، ٥١ سورة الأنفال)

وهكذا نرى الفارق الهائل بين الإنسان المؤمن، والإنسان الكافر ساعة الاحتضار. الملائكة تقول للانسان الكافر.. هأنتذا ترى ما كنت تكذب به فى

الحياة الدنيا، وترى العذاب الذى ينتظرك.. فإن كان لك قوة أو قدرة، فأخرج نفسك من هذا.. اهرب إن كنت تستطيع ولكنك لا تستطيع.

غرتك قدرتك فى الدنيا فبغيت وظلمت وعصيت، وقلت على الله غير الحق.. واستكبرت فى الأرض.. والآن انتهى كل ما ألفته فى حياتك الدنيوية.. فآلهتك التى كنت تعبدها من دون الله هربت واختفت لأنها زيف.. واصدقاؤك الذين كانوا يعينونك على الباطل وعلى المعصية لايملكون لك ولا حتى لأنفسهم نفعا ولا ضراً، وكل من نصرك فى الدنيا بغير حق.. أصبح الآن عاجزا عن أن يحميك..

العرض على النار .. كيف ؟

ويحدثنا القرآن الكريم .. إنه فى ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وإيذاء من الملائكة للكافر، الذى طعم خير الله ومنع شكره..

والمعروف أن العذاب لايكون إلا مع وجود الحياة، فأنت لا تستطيع أن تعذب جسدا ميتا، ولكن لكى يحس الجسد بالعذاب .. لابد أن تكون فيه روح، ولذلك فإن مايحدث من الملائكة من ضرب وإيذاء، إنما يحدث ساعة الاحتضار وفى الجسد حياة .. ولذلك تجد الكافر عند موته وجهه مكفهر، وعضلات وجهه منقبضة، وهو يرى المصير الأسود الذى ينتظره.

إذن فساعة الاحتضار .. يفرق فيها بين المؤمن والكافر، وذلك بخلاف الحياة الدنيا .. ففى الدنيا قد يكون للكافر من الجاه والعز والسلطان والعلو والشرف ما ليس للمؤمن، ولكن ساعة الاحتضار تبدأ التفرقة وينتهى كل ما ألفناه فى الحياة الدنيا حيث يرى الكافر الملائكة وقد جاءوا بمقدمات العذاب وانهالوا ضربا عليه، ويرى المؤمن الملائكة وقد جاءوا بمقدمات النعيم وبشرى الجنة .. بل إن هناك

تحديا من الملائكة .. للكافر ساعة احتضاره .. واقرأ قول الله تبارك وتعالى:

﴿ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾

(من الآية ٩٣ سورة الأنعام)

الملائكة يقولون لكل ظالم أو كافر يحتضر .. إن كانت لك قوة الآن كما كنت تدعى فى الحياة الدنيا فأخرج نفسك مما أنت فيه .. خلص نفسك إذا كانت لك قوة أو نفوذ، ولكنك لاتستطيع .. لقد كنت فى الحياة الدنيا تدعى أن لك قدرة وقوة .. ولكنك الآن عرفت الحقيقة، وعلمت أن القوة لله جميعا، وأن كل ماعندك من الطاقة أو القوة أو السلطان كان من الله .. أما ذاتك فلم تكن تملك شيئا. لقد صورت لك نفسك أنك تستطيع وتستطيع وأنك قادر، ولكنك الآن فى لحظة الصدق التى ليس فيها ظن ولاشك ولكن فيها يقين.

وعندما ينتقل الإنسان إلى حياة البرزخ.. وهى نوع من الحياة يعيشها الإنسان بين الموت والبعث، فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالقليل عن قوانين هذه الحياة .. ولكنها نوع من الوجود.

الإنسان يسمع وهو ميت ولكنه لايستطيع أن يرد.. ورسول الله ﷺ خاطب قتلى غزوة بدر من الكفار فناداهم، فقال يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا. فسمع عمر رضى الله عنه قول

النبى ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال: (والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لايقدرون أن يجيبوا).

والله سبحانه وتعالى قد أنبأنا فى القرآن الكريم .. ببعض ما يحدث للموتى فى قبورهم .. فقال جل جلاله..

﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾

(الآية ٤٦ سورة غافر)

ومعنى ذلك أن هناك حياة فى البرزخ .. وأن هذا النوع من الحياة فيه تعقل للإنسان يجعله يميز بين الأشياء، وإلا لو كان القبر سكونا وغيبة تامة عن الوجود، ما كان يمكن أن يعرض آل فرعون على النار مرتين فى كل يوم .. وكونهم يعرضون على النار .. معناه أنهم يستطيعون أن يميزوا، وإلا لما عرفوا أن هذه نار، وأنهم سيعذبون فيها، لأن عرضهم عليها كل يوم لايمكن أن يكون له معنى.. إلا إذا كان يؤلمهم إيلاما نفسيا شديدا.. لأنهم على يقين أنهم سيعذبون فيها، وانتظار البلاء أشد من وقوعه، ولو لم يكونوا يتألمون من هذا العرض ما عرضوا عليها.. لأنه فى هذه الحالة لايكون هناك هدف قد تحقق.

الزمن .. وحياة البرزخ

إن فى قول الحق تبارك وتعالى:

«النار يعرضون عليها غدوا وعشيا»

.. إشارة إلى أن هناك نوعا من الزمن فى حياة البرزخ يختلف عن مقاييس

الزمن الذى نعيش فيه، لأن الغدو والعشى أوقات من صفات الزمن.

ولكن متى يعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا ؟

.. إن الآية الكريمة تعطينا حالتين لآل فرعون هما: العرض على النار، ودخول النار.. هل كان آل فرعون يعرضون على النار فى الحياة الدنيا ؟ .. طبعا لا .. إنهم لو رأوا النار وهم فى الحياة الدنيا لسجدوا لله تبارك وتعالى ولقتلوا فرعون ذلك الإله المزيف، لأنه فى هذه الحالة سيوردهم النار .. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾

(الآية ٩٨ سورة هود)

فلو أن آل فرعون كانوا يعرضون على النار فى الحياة الدنيا لعرفوا أن عبادتهم لفرعون ستؤدى بهم إلى العذاب، وما كانوا عبدوه أبدا..

ولو قلنا إن آل فرعون يعرضون على النار يوم القيامة .. لكان ذلك خطأ لأنهم يوم القيامة يدخلونها .. والله تبارك وتعالى يقول:

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلو آل فرعون أشد العذاب﴾

(من الآية ٤٦ سورة غافر)

ومراحل حياة الإنسان ثلاث: الحياة الدنيا، وما بين الموت والبعث (وهى حياة البرزخ)، وعندما تقوم الساعة. هذه المراحل الثلاث سنحاول أن نحدد من خلالها متى يعرض آل فرعون على النار..

وإذا كان ذلك لم يحدث فى الدنيا ويوم القيامة يدخلون النار، فإن العرض لابد أن يتم ما بين الموت والبعث.. أى فى حياة البرزخ.

إذن فهناك حياة في البرزخ.. ومن خلال هذه الحياة يعرض آل فرعون على النار.

والسؤال هنا: هل يعرضون على النار وهم فى قبورهم؟.. أو أنه يتم ذلك بأن الله سبحانه وتعالى يجمعهم ليعرضوا على النار..

وسواء تم العرض وهم فى قبورهم .. أو بأية طريقة أخرى .. فإننا نعرف من الآية الكريمة .. بأن هناك نوعا من الحياة فى البرزخ فيه تعقل وإحساس.. ونعرف أيضا أن الإنسان فى البرزخ يعرف أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار، وأنه يرى مقعده فى الجنة أو مقعده فى النار، وذلك مصداقا لقول رسول الله ﷺ:

«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

ولذلك فإن عذاب القبر ـ أن يرى الإنسان مقعده من النار ـ عذاب رهيب، لأنه كما قلنا انتظار البلاء أشد من وقوعه.. ذلك أنه لو عرفت مثلا يقينا أن ابنك الوحيد سيموت فى حادث سيارة بعد عام .. ألا يكون ذلك عذابا لك طوال هذا العام .. حتى أنك تتمنى الموت ليريحك من هذا العذاب.. إذن فانتظار البلاء أشد عذابا من وقوعه..

على أن هناك آية أخرى. فى قوله تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾

(الآية ١٣ سورة الممتحنة)

لابد أن نلتفت إلى قوله سبحانه وتعالى: «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» .. ومعنى أنهم يئسوا أن هناك نوعا من التعقل قد أدخل في نفوسهم

اليأس، لأنه إذا كان الانسان فى قبره بلا إحساس ولاشعور.. فهو لايملك القدرة على أن يأمل أو ييأس، ولكن كونهم يئسوا يدل على أنهم عرفوا يقينا أن مصيرهم النار.

هذه بعض الصور التى أعطاها الله لنا عن حياة البرزخ.. لنعرف أنها حياة لها قوانينها، ولنعرف أن الله سبحانه وتعالى قد اختص آل فرعون بالعرض على النار فى حياة البرزخ .. لتجبرهم وعبادتهم لفرعون .. لأن هذه ليست معصية (أوامر)، ولكنها معصية (آمر) .. ولأن آل فرعون جاءهم موسى بآيات كثيرة تثبت الألوهية لله سبحانه وتعالى وحده، ولكنهم سخروا بها، وأن إدخال الكافرين والعاصين إلى النار لايتم إلا بعد الحساب يوم القيامة .. ولكن مرحلة الحياة فى القبر يعرف الانسان فيها مصيره .. إما يكون منعما فى قبره فيكون فى نعيم لأنه يعرف ما ينتظره .. وإما يكون من أهل النار والعياذ بالله.. فيكون فى عذاب شديد لأنه يعرف ما ينتظره .. أما دخول الجنة أو النار .. فلا يتم إلا بعد الحساب يوم القيامة.

وخلاصة القول: إن الإنسان كلما تقدم فى العلم حسب ـ زيفا ـ أنه قادر، وأن القدرة من ذاته، وأنه متمكن فى الأرض، فيأتى الموت ليفيق من وهمه الكبير، ويعرف أنه لاذات له، وأن كل ما هو موجود فى الدنيا هو من صنع الله سبحانه وتعالى، ولكن الوقت يكون قد فات لأن يتوب .. لأن التوبة ساعة الاحتضار توبة إجبار بعد ما رأى، وعندما يرى الإنسان مصيره ساعة احتضاره لاتكون التوبة إيمانا.. لأن الإيمان لابد أن يكون بالغيب مصداقا لقوله تعالى:

﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾

(من الآية ٣ سورة البقرة)

وقد انكشف له ماكان غيبا عنه وانتهت مرحلة الإيمان.

الفصل الخامس

الثابت .. يتغير !!

أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هناك نوعا من الحياة فى البرزخ .. ولكن الناس تعيش هذه الحياة بمفهوم الحياة الدنيا وهذا خطأ. لأن مفهوم الحياة الدنيا له قوانينه، وحياة البرزخ لها قوانينها، والحياة فى الآخرة لها قوانينها. وكل من هذه القوانين مختلف تماما بالنسبة للإنسان..

فالحياة فى الآخرة مثلا أبدية ليس فيها موت، والحياة فى الدنيا فيها موت، والحياة فى البرزخ فيها كشف لما هو غيب عنا، والله تبارك وتعالى قد عرفنا ببعض الآيات الكبرى التى ستحدث عند نهاية العالم.

هذه الآيات التى نتحدث عنها نعرف يقينا أنها ستحدث، لأن الله جل جلاله أخبرنا بها. ولكن ليس من المفروض أن نعرف كيفية حدوثها.

إن هناك فرقا بين أن تؤمن بالحقيقة، وأن تعرف كيفية حدوثها. فالإيمان بالحقيقة شىء، والإيمان بكيفية حدوثها شىء آخر. كيفية الحدوث هذه من غيب الله سبحانه وتعالى، ولذلك عندما سأل إبراهيم ربه عن الكيفية التى تحدث

بها عملية إحياء الموتى كما يروى لنا القرآن الكريم:

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

حاول بعض المشككين من الناس أن يفسر هذه الآية على أساس أنها تمس إيمان إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام .. وهذا افتراء على إبراهيم، لأن الله سبحانه وتعالى جعل إبراهيم للناس إماما.. ومحصه تمحيصا وابتلاه بابتلاءات لاحصر لها ولا عد، ثبت فيها ثبوت الجبال الرواسى، وجعل من ذريته الأنبياء. ولايمكن أن يكون كل هذا التكريم لإبراهيم عليه السلام.. إلا أن يكون مؤمنا حقا، ومن أساسيات إيمانه أن الله قادر على أن يحيى الموتى.

لقد كان سؤال ابراهيم هنا عن الكيفية فقط، وأراد الله تبارك وتعالى أن يفهم إبراهيم وكذلك الناس جميعا ألا يسألوا عن الكيفية، لأنك مع الله سبحانه وتعالى لا تسأل كيف؟.. فالله يقول للشيء: «كن فيكون».. والكيفية هنا فوق قدرات العقول كلها، ولذلك أدخل الله جل جلاله إبراهيم فى تجربة إيمانية، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

هل عرف الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بالكيفية؟ .. لا .. ولكنه

جعله يشهدها دون أن يعطيه أسرارها، لأن هذا ـ كما قلنا ـ فوق قدرة العقل البشرى.

تجربة حية .. للبعث

هذه القصة لم تحدث مع إبراهيم وحده، بل حدثت مع أحد أنبياء اليهود، وحدثت مع زكريا عليه السلام، وحدثت مع مريم عليها السلام.

لقد مر أحد أنبياء إسرائيل على قرية دمرها عذاب من الله تبارك وتعالى .. فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى.. يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائه عام ثم بعثه﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

هذا النبى تساءل عن كيف سيحيى الله هذه القرية بعد أن دمرت تدميراً شديداً؟. فأراد الله سبحانه وتعالى أن يلفته إلى أنه ليس مع الله كيف؟. فأماته مائة عام ثم بعثه، وسأله كما يروى لنا القرآن الكريم:

﴿قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إنه عندما سأل عن الكيفية أمانه الله مائة عام ثم بعثه، ولما استيقظ لم يكن شيء فيه قد تغير، بل كان على نفس الهيئة التى مات عليها .. استيقظ شابا قويا، لاشيء حوله ينبئه بأنه مات مائة عام.. ولذلك عندما سأله الله تعالى: (كم لبثت) ؟. قال قياسا على عادة النوم عند الإنسان: (لبثت يوما أو بعض يوم) .. لأن الإنسان لايستطيع أن ينام أكثر من ذلك. حينئذ أعطاه الله سبحانه وتعالى الدليل

المادى على أنه مات مائة عام ثم بعثه.. فقال جل جلاله:

﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

وهكذا أراه الله سبحانه وتعالى من قدراته كيف أنه حفظ له طعامه لم يتغير ولم تؤثر فيه السنون، ثم نظر إلى حماره فوجد أن الحمار أصبح عظاما نخرة.. أى أنه مات ثم تعفن ثم تحلل حتى أصبح عظاما نخرة، وهذا ما لا يمكن أن يحدث بين يوم وليلة، ثم أعطاه الله آية أخرى ليشهد عودة العظام النخرة وعودة الحياة إلى حماره.. حينئذ قال:

﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إنها طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. فقد أوقف الزمن عن الطعام فبقى طازجا لم يفسد، وأجرى الزمن على الحمار فأصبح عظاما نخرة. الله تبارك وتعالى يفعل بقدرته الشيء وضده، ولكن هل أراه الله جل جلاله الكيفية التى يتم بها ذلك؟.. لا، ولكنه سبحانه وتعالى أدخله فى تجربة عملية ليعرف أن الله على كل شيء قدير. وزكريا عليه السلام حين دخل المحراب على مريم فوجد عندها فاكهة فى غير موسمها ماذا فعل؟.. لقد اتجه إلى الله سبحانه وتعالى بدلائل القدرة التى رآها .. وطلب منه جل جلاله أن يرزقه بالولد. لكن زكريا تذكر الاسباب وكيف أنها منعدمة عنده وعند زوجته فقال كما يحكى القرآن الكريم

في قوله تعالى:

﴿ قال رب أني يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾

(الآية ٤٠ سورة آل عمران)

الأسباب وطلاقة القدرة

هل أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله زكريا عن الكيفية التى سيعطيه بها الغلام بدون أسباب ؟! إن الأسباب تحكم على من هى عاقر وتقدمت فى السن ألا تلد.. فإذا كان زوجها شيخا كبيرا يكون الامتناع أكثر، بل يكون ذلك من المستحيل فى أسباب البشر.. لكن من سبب الأسباب، لا تعجزه الأسباب ولا تقيد قدرته .. الله سبحانه وتعالى لم يبلغ رسوله الكيفية التى سيتم بها ذلك. ولكنه قال سبحانه: (كذلك الله يفعل ما يشاء).

ومريم ابنة عمران عندما بشرتها الملائكة بأنها ستلد عيسى ابن مريم.. ومع أنها رأت معجزات كثيرة تخرق قانون الأسباب.. إنه يأتيها الطعام فى غير موسمه، وإنه يتواجد عندها دون أن يحضره أحد، وهذا عطاء من الله لها بدون الأسباب، لكن عندما بشرت بالغلام رجعت إلى الأسباب كما يروى لنا القرآن الكريم:

﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾

(الآيتان ٢٠ ، ٢١ سورة مريم)

وفى سورة آل عمران:

﴿ قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾

(الآية ٤٧ سورة آل عمران)

وهكذا عندما تساءلت مريم كيف سترزق بغلام ولم يمسسها بشر؟.. والطفل ـ بأسباب الدنيا ـ لا يأتى إلا من اجتماع رجل وامرأة لم يخبرها الله سبحانه وتعالى عن الكيفية التى سيتم بها ذلك ولكنه جل جلاله قال: (قال كذلك قال ربك).

كذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى عندما سأله أنبياؤه ورسله الذين اصطفاهم واختارهم من خلقه، وكلفهم بإبلاغ منهج السماء للأرض.. (كيف) يحدث ما حدث.. قال الحق جل جلاله: (قال كذلك قال ربك).

كذلك إذا تحدثنا عن الآية الكونية التى سيريها الله لعباده والساعة تقترب من موعدها لا نقول ولا نتساءل كيف يحدث ذلك بعد أن رأينا طلاقة قدرة الله، وأنه سبحانه وتعالى لايعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء.

يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم منبئا بما سيحدث من آيات عندما تقترب النهاية إيذانا بفناء العالم:

﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾

(الآية ٨٢ سورة النمل)

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه بعد أن يصل الناس إلى قمة العلم الدنيوى.. ويحسبون أنهم قد حكموا كل شيء، وسيطروا على كل شيء، وأصبحت الأرض خاضعة لهم.. يأتى الله سبحانه وتعالى بآية تثبت لهم عجزهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى.

لقد وصل الإنسان إلى القمر، وقد يصل إلى المريخ، والعلم يعطينا كل يوم شيئا جديدا، حتى أنه ألغى المسافات فى العالم كله، فأصبح الحدث الذى يقع فى منطقة ما، يراه الناس فى كل أنحاء الأرض فى نفس لحظة وقوعه، وأصبح الإنسان يتكلم فى أى مكان من الأرض، فيصل صوته إلى الدنيا كلها فى نفس لحظة كلامه، وهناك اختراعات قادمة ربما تحقق أكثر من ذلك.

لكن فى الوقت الذى يكون فيه الإنسان مغترا بعلمه مفتونا بما حقق.. يخرج الله تبارك وتعالى له من الأرض دابة.. هذه الدابة تتحدى قدرات البشر! فكل ما أتيح لهم من علم، وكل ما كشفه الله سبحانه وتعالى من أسرار فى كونه للإنسان، لايجعله يستطيع أن يجعل الدابة تتكلم.. فيخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض دابة تكلمهم!!

ولكن.. هل ستتكلم هذه الدابة لغة واحدة ؟ .. أو ستتكلم بكل لغات الأرض لتكون المعجزة أكبر ؟! لا أحد يستطيع أن يجزم بشيء. ولكن هذه الدابة ستثبت للبشر جميعا أن علمهم قاصر ومحدود. لقد اعتقدوا ـ بما وصلوا إليه من علم ـ أنهم قد سيطروا على كل ما فى الأرض، ثم فى ظل هذا الاعتقاد الزائف يجدون هذه الدابة التى تتكلم تتحداهم وتثبت عجزهم.

كيف سيحدث ذلك؟!

لقد بينا أنه ليس مع الله كيف .. وستكون هذه الدابة من العلامات التى

تدل على أن الساعة أصبحت وشيكة الحدوث.. هذه العلامة هى أن تتكلم الدابة!

علامة أخرى من علامات القيامة يخبرنا بها رسول الله ﷺ يقول: (لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها).

لقد ألف الناس في الحياة الدنيا أن الشمس تطلع من المشرق. هذا الإلف الذى حدث بإرادة الله سبحانه وتعالى يقلبه لنا ويخرق قانونه فى آخر الزمان!..

كيف سيحدث ذلك؟..

ليس مطلوبا منا أن نعرف .. والمهم أن نظام الكون سينقلب، ويأتى الله تبارك وتعالى إلى النظام الثابت الذى اعتاد عليه الجميع، ليغيره بعد أن ظن البشر أنه باق وأنه سيظل هكذا دون تغيير أو تبديل.. وأن علمهم الذى حصلوه يتيح لهم القوة والمنعة.

ثم تأتى آية من آيات الله تنقض هذا كله فى لحظة، عندئذ يتبين للناس عجزهم وضعفهم، وأنهم لايستطيعون ـ مع قدرة الله جل جلاله- حولا ولا قوة.

عندما تطلع الشمس من مغربها

إن هناك فرقا ـ كما قلنا ـ بين أن نؤمن بالحقيقة، وأن نعرف كيفية حدوث هذه الحقيقة.

رسول الله ﷺ أخبرنا أنه قبل قيام الساعة ستطلع الشمس من مغربها، وذلك يؤكد لنا حقيقة أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يغير ولا يتغير، وأنه لاثبات ولابقاء لشيء فى الكون، وأن كل ما نراه ثابتا يأتى له وقت يغيره الله متى شاء.

وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا يقرب ذلك للأذهان ـ ولله المثل الأعلى ـ بالمجموعة الشمسية التى نعيش فيها فماذا نرى ؟! الأرض تدور حول الشمس، والأرض تدور حول نفسها، والقمر يدور حول الأرض. إلا نجما اسمه الفيجا أو النسر الواقع، والله سبحانه وتعالى قال لنا فى القرآن الكريم:

﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾

(الآية ٣٨ سورة يس)

لقد أراد الله الحق تبارك وتعالى أن يوضح لنا صورة حركة الشمس فقال جل جلاله: (تجرى) ليلفتنا إلى أن حركة الشمس سريعة. لأن الجرى أسرع من المشي.. ومستقر الشمس مكان لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ..

وما دامت الشمس (تجرى) لمستقر لها، وأن كل فعل له رد فعل مساو له فى القوة، ومضاد له فى الاتجاه.. فيمكننا أن نتصور ـ وهذا مثل لتقريب الصورة فقط، ولا علاقة له إطلاقا بكيفية الحدوث ـ أنه من الممكن إن كان مستقر الشمس هو نهاية حركتها فى اتجاه معين، أن ترتد على عكس سيرها وبالقوة ذاتها فتطلع من مغربها.

إنك إذا ضربت كرة بقوة فى حائط معين، فإنها ترتد منه بنفس القوة وعكس الاتجاه. فإذا كانت المجموعة الشمسية تسير إلى مستقر لها، فقد يأتى يوم ـ حين ينتهى مسارها ـ ترتد بالعكس. والحق سبحانه وتعالى يقول (والشمس تجرى لمستقر لها) أى أن لها مستقراً ستقف عنده.

قد يكون وقوفها عند المستقر يجعلها ترتد فى عكس اتجاهها، فإن كانت تأتى من المشرق، فستأتى من المغرب.

هذا مثل تقريبى لأننا جميعا لا نستطيع أن نجزم، أو حتى نعطى احتمالا لما

سيحدث، ولكنها صورة تقريبية ليتصور العقل البشرى إمكانية طلوع الشمس من مغربها.

ويجب ألا تغيب عن أذهاننا حقيقة مهمة مرتبطة بهذه الآية الكبرى.. هى أنه حين تطلع الشمس من مغربها لا تقبل التوبة. يقول رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف:

(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها).

إذن طلوع الشمس من مغربها هو آية كبرى من آيات الله ستحدث، فإذا حدثت لاتقبل التوبة.

السماء والدخان

ننتقل بعد ذلك إلى علامة أخرى من علامات الساعة، عندما تكون وشيكة الحدوث.. اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾

(الآيات من ١٠ـ١٢ سورة الدخان)

هذه علامات أخرى من العلامات الكبرى لنهاية العالم.. وكل الآيات التى تحدثنا عنها هى من العلامات الكبرى لنهاية العالم، ذلك أن السماء ستأتى بدخان يغطى الأرض كلها، وهذا الدخان سيحيط بكل مكان بعد أن يكون الإنسان قد عصى وترك منهج الله، وأعتقد أن الدنيا تسير بقوانينه هو. حينئذ يأتى هذا الدخان

وفيه عذاب للناس ومحيط بالأرض .. فيتضرع الناس إلى الله تبارك وتعالى أن يرفع عنهم العذاب لأنهم آمنوا وتابوا وعادوا إلى طريق المنهج..

ولكن بمجرد أن يرفع الله عنهم العذاب يرتدون كافرين!! فتأتى بعد ذلك البطشة الكبرى والانتقام الإلهى من أولئك الذين يرون آيات الله ويجحدونها.

ان هذه التحديات التى أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ هى الآيات الكبرى لقرب نهاية العالم. لقد تحدى الله سبحانه البشر جميعا أن يجاروا فعله وقدرته. يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز﴾

(الآيتان ٧٣، ٧٤ سورة الحج)

هذا التحدى من الله لخلق الله جميعا تحد استمر أربعة عشر قرنا وسيستمر حتى نهاية العالم دون أن يستطيع الإنسان أن يخلق ذبابة.. ذلك المخلوق الضعيف الذى أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحدى به الدنيا كلها مجتمعة دون ما تحديد لزمان أو مكان، ودون ما تحديد لشعب معين أو لفئة معينة أو لجنس معين، وإنما طلب الله تبارك وتعالى من علماء العالم جميعا أن يتحدوا ويتعاونوا ويتكاتفوا ليخلقوا الخلية الحية، ولكنهم حتى الآن ـ وإن استطاعوا أن يحققوا أشياء كثيرة فى علوم الفضاء وغيرها-. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يخلقوا الخلية الحية.

التحدى قائم ومستمر ..

إذن فهناك تحد أتى منذ نزول القرآن الكريم، وتحد يأتى قرب نهاية العالم، وكل هذه التحديات لم يستطع أحد أن يواجهها، لأن المتحدى هو الله سبحانه

وتعالى، وكلما مر الزمن.. يأتى الله بتحديات أكبر للبشر، لماذا؟ لأنه كلما مر الزمن ضعف الخط الإيمانى.. وازداد الناس تعلقا بالعلم وازدادوا غرورا بعقولهم .. والله تبارك وتعالى يبين لهم تفاهة علمهم بالنسبة للقدرة الإلهية.

ولعل بعض الناس يتساءلون هل سيضعف القرآن فى آخر الزمان كما يضعف الخط الإيمانى؟! ونقول لا.. إن الإيمان سيضعف، ولكن القرآن سيعلو، ونحن نرى ذلك الآن. فبينما يقل الإيمان، يعلو القرآن .. فنجد من يهتم بطباعة المصاحف الأنيقة المزخرفة بماء الذهب، ونجد أن كل إنسان حريص على أن يكون عنده مصحف أو أكثر فى بيته، أو فى سيارته أو فى محل عمله وربما لو بحثت لو جدت أنه لم يقرأه ولو مرة واحدة.. ونجد من غير المسلمين من يعتنى بطباعة القرآن طبعات فاخرة، ومن يكتب القرآن كله فى صفحة واحدة، ومطابع المصاحف فى اليابان وإيطاليا وألمانيا الغربية.. كل هذا يحدث الآن.. حتى أن الله سبحانه وتعالى يسخر غير المسلمين لطباعة القرآن بشكل يليق بجلالة كلماته !! ولذلك فأنت تتعجب حين ترى من ليس بمسلم يخدم طباعة القرآن.. ولا يخدم طباعة الكتاب الذى يؤمن به!!.

إن خط القرآن سيعلو، لأنه محفوظ من الله سبحانه وتعالى.. ولكن الخط الإيمانى هو الذى سيضعف كلما تقدم الزمن.

وكان المفروض أن يكون العكس .. لارتفاع مدارك الإنسان واطلاعه على بعض ما أظهره الله له من أسرار الكون وقوانينه التى دفعته إلى الرقى والتقدم !!

.. نأتى بعد ذلك إلى قول الحق جل جلاله:

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات

الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

في هذه الآية الكريمة يعطينا الله تبارك وتعالى مثل الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها، من البداية إلى النهاية. فكل ما في هذا الكون نزل من السماء قبل وجود الخلق ليبدأ دورته على الأرض.

الله جل جلاله يشبه لنا الحياة الدنيا بالماء الذى ينزل من السماء. فبدون الماء الذى ينزل من السماء لا تكون هناك حياة على الأرض.. ولو امتنع المطر لمات كل من عليها من إنسان وحيوان ونبات .. ولأصبحت الأرض صحراء جرداء أو أرضا ميتة..

إذن أسباب الحياة تأتى كلها من السماء، إنها تنزل طاهرة مطهرة، فتختلط بالأرض، وتعطى للناس ما يأكلونه وتأكل أنعامهم.. تعطيهم الغذاء والماء وما يحفظ حياتهم..

حينئذ يبدأ الناس فى تزيين الأرض .. وكل ما على الأرض هو زينة لها .. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى:

﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾

(الآية ٧ سورة الكهف)

ويجب أن نلتفت إلى نص الآية الكريمة .. لماذا لم يقل الحق جل جلاله

(زينة لكم) ..؟ ذلك لأن كل ما على الأرض لايستطيع أحد أن يملكه، فهو يبقى فى الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فملكية الناس هى ملكية مجازية .. إنهم مستخلفون فيما ملكوا..

أنا أقول مثلا أنا أملك هذه العمارة. ولكنها فى الحقيقة ستظل بعد أن أفارق الدنيا من يد إلى يد إلى أناس كثيرين، كل منهم يدعى أنه مالكها، ثم يتركها ويمضى ويأتى آخر وهكذا.

إذن كل ما على الأرض من زينة ومن حدائق فيها من الثمرات، ومن عمارات يتفنن أصحابها فى أن تبدو فى شكل جميل جذاب.. زينة يتمتع بها حتى من لا يملكها بمتعة النظر.

إننا فى الحقيقة نزين الأرض، والزينة على الأرض تزداد كلما تقدم الإنسان فى العلم واكتشف وسائل جديدة تزيد من زينة الأرض.. وتجعلها مكان إقامة مزيناً للإنسان جيلا بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا أردنا أن نجمل ما فصلنا نقول: إنه ليس مع الله سبحانه وتعالى كيف .. وإنه جل جلاله إذا قال «كن» فإن الشىء يكون، وإنه كلما تقدم العلم ظن الناس أنهم قد سيطروا على الأرض وما فيها ويستطيعون أن يفعلوا بها ما يشاءون.

حينئذ يأتى أمر الله ليهلك هذا كله، وتظهر الحقيقة للبشر كل البشر، ليس كغيبيات مطلوب الإيمان بها.. ولكنها كوقائع مشهودة عندما تأتى نهاية العالم.

الفصل السادس

ونعرف الحقيقة

صلف الانسان وغروره صورا له ـ بعد أن كشف الله له بعض أسرار كونه ـ أنه قادر على تسيير الحياة وفق مشيئته وتدبيره، فابتعد عن منهج الله وشرع لنفسه، وهذا جهل مطبق، وغرور لا يستند إلى أساس، وإذا كنا نسمع الآن صيحات الجهالة بأن عصر الإيمان قد انتهى وبدأ عصر العلم، فما هذه الصيحات إلا مقدمة لأن يعبد الإنسان ذاته ونفسه.

الله سبحانه وتعالي يقول في كتابه العزيز:

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

لقد استطاع الإنسان أن يضفي على الأرض زينة وزخرفا لم تعرفها العصور السابقة من قبل.. وكل يوم يعطى العلم جديدا يزيد في رفاهية الإنسان .. ولكن هل أضاف الإنسان شيئا من أساسيات الحياة وضرورياتها؟

ويجب أن ندرك جيدا أن الإنسان ليس أصيلا في الكون، وإنما هو طارئ عليه، إنه يأتي ويعيش فترة محدودة ثم تنتهي حياته، والانسان لا علاقة له بعمر

الدنيا، ذلك أن الدنيا قد يكون عمرها مئات الألوف من السنين أو ملايين السنين، لكن هذا يجب ألا يشغلنا، إنما الذى يشغلنا هو فترة حياة كل منا على هذه الأرض.. إنها لن تزيد عن مائة سنة أو أكثر قليلا.

إن ثبات الكون يعطينا شعورا (وهميا) بشيئين:

الشعور الأول: أن هذا الكون ليس له نهاية، ومهما قال الناس عن نهاية الكون، تجد كل من يعيش فيه يعتقد أنه مازال هناك ملايين السنين حتى ينتهى الكون .. وهذا مجرد وهم.

والثانى: هو أن الاشياء التى تخدمنا فى الكون تعطينا بذاتنا.. وهو أيضا وهم.. إنها فى الحقيقة تعطينا بقدرات الله سبحانه وتعالى، وكل شىء فى هذا الكون خاضع لقدرة خالقه، ولا يحدث شىء فى كون الله يخرج عن مراد الله الفعلى، ولا يستطيع الإنسان إلا أن يزين الأرض بما أودعه الله فيه من قدرات، وكل ما على الأرض هو زينة لها .. مصداقا لقوله تعالى:

﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾

(الآيتان ٧، ٨ سورة الكهف)

إذن فكل ما هو على الأرض وما تراه إنما هو زينة للأرض نفسها، وأنت تستمتع بزينة الأرض مادمت عليها، فإذا انتهى عمرك، انتهى تمتعك بزينة الأرض.. تذهب أنت ولكن ما على الأرض يبقى زينة لها .. ويوم يأتى أمر الله وينتهى هذا العالم يصبح كل ما على الأرض من زينة حطاما.. وينتهى كل شىء.

الله سبحانه وتعالى حين يجد أن الانسان قد اغتر بنفسه وترك منهج السماء رغم ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من آيات تثبت أن الخالق هو الله، تكون مهمة

الحياة الدنيا قد انتهت .. ثم يطلع الله سبحانه وتعالى بعد ذلك الانسان على الحقيقة وكأنه يقول له:

لقد غرتك نفسك وابتعدت عن المنهج، واعتقدت أنك تسير الكون بذاتك، ولذلك سأطلعك على الحقيقة.

ومن هنا يجب أن نتنبه إلى معنى الآية الكريمة:

﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾

(من الآية ٢٤ سورة يونس)

بأن هذا ظن وليس حقيقة .. إنهم ليسوا قادرين عليها، لكنهم يتوهمون ذلك.. وهذا زيف.

حينئذ يأتى الحق سبحانه وتعالى ويغير الشيء الثابت فى الدنيا بطلاقة قدرته التى ليس لها حدود، ولا تقيدها قيود.

نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم

وعن الآيات التى ستتوالى مما لا عهد للانسان به، والتى تمهد لنهاية العالم .. يخبرنا الله ببعضها كما جاء فى قوله جل جلاله:

﴿ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت وإذا الصحف نشرت وإذا السماء كشطت وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت﴾

(الآيات من ٨ـ١٤ سورة التكوير)

متى تحدث هذه الصور المتعددة ؟ إنها ستحدث عندما يوحى الله تعالى إلى الأرض والكون كله أن يدمر. وما هى إلا لحظات حتى يتدمر الكون كله وينتهى. وفى ذلك يقول الله عز وجل:

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراًيره﴾

(سورة الزلزلة)

والوحي هو إعلام بخفاء بين المُوحي والموحى إليه.. لايفهمه أحد إلا من أوحى ومن أوحى إليه.. والله سبحانه وتعالى يوحي مايشاء لمن يريد، فليس الوحي مقصورا على الرسل، لكنه يشمل مخلوقات كثيرة. فالله سبحانه وتعالى أوحى إلى رسله، وأوحى إلى أم موسى مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾

(من الآية ٧ سورة القصص)

وأوحى إلى النحل بقوله تعالى:

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون﴾

(الآية ٦٨ سورة النحل)

كما أوحى الله إلى الحواريين أتباع عيسى بن مريم عليه السلام وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى﴾

(من الآية ١١١ سورة المائدة)

والوحي قد يكون من غير الله سبحانه وتعالى مصداقا لقوله جل جلاله:

﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾

(من الآية ١٢١ سورة الانعام)

ولكن الوحى الشرعى هو من الله سبحانه وتعالى للرسل..

عندما تأتى نهاية العالم يوحى الله سبحانه وتعالى إلى الأرض. كيف ؟ لقد قلنا إنه ليس مع الله كيف. قد يقول بعض الناس إن الأرض جماد لا يعقل، فكيف يوحي إليها الله سبحانه وتعالى ؟

نقول إن الخالق جل جلاله قد جعل لكل خلق من خلقه لغة يتكلمونها. هذه اللغة لانفهمها نحن، ولكن يفهمها خالقها ويفهمها المخلوق. ولذلك عندما تقرأ القرآن تجد أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾

(من الآية ٤٤ سورة الإسراء)

ومعنى ذلك أن كل شىء فى الكون مسبح بحمد الله عابد له ولكننا بعلمنا القاصر المحدود لا نسمع ولا نفهم هذا التسبيح..

يقول جل جلاله :

﴿ وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير﴾

(من الآية ٧٩ سورة الانبياء)

وإياك أن تعتقد ان هذه المخلوقات التى تراها أقل منك ادراكا أو وعيا، فقد تكون هذه المخلوقات أوفى منك علما. فالنملة عقلت أنه إذا مر جنود سليمان فإنهم سيحطمون مملكة النمل، ولذلك صاحت محذرة باقى النمل بأن يدخلوا مساكنهم التى يأوون فيها هربا من الانسان حتى ينجوا من التحطيم. واقرأ قوله سبحانه وتعالى:

﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾

(من الآية ١٨ سورة النمل)

كيف عقلت هذه النملة أن الذى يمر هو سليمان عليه السلام وجنوده؟!

ومن أين علمت ذلك؟!.. وكيف عقلت أن سليمان وجنوده إذا مروا فإنهم سيحطمون وادى النمل؟! وكيف عرفت وعقلت أن النمل إذا دخل مساكنه فإنه سينجو من التحطيم؟! لابد أن يكون للنمل علم أو عقل هو الذى جعله يفهم كل هذا.. نحن لا ندرى كل هذا بل ونحتقر النملة لصغر حجمها وسهولة القضاء عليها.

واقرأ ما قاله الهدهد لسليمان عليه السلام كما يحكى القرآن الكريم:

﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء، فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾

(الآيات من٢٢ـ٢٦ سورة النمل)

كيف أحاط الهدهد بما لم يحط به سليمان الذى أوتى ملكا لم يؤته أحد من البشر ؟ ..

ومن الذى أخبر الهدهد أن هذه أرض سبأ ، وأن الذى يحكم هذه البلاد امرأة ، وأنها ملكة وأن لها عرشا عظيما ، وأنها وقومها يعبدون الشمس من دون الله وأن هذا كفر ، وأن الشيطان هو الذى زين لهم ذلك وصدهم عن سبيل الله ولذلك فهم لا يهتدون ؟!

من الذى عرف الهدهد أن العبادة لله وحده وأن الله له ملك السموات والأرض الى اخر ما تقوله لنا هذه الآيات الكريمة كيف عقل الهدهد ذلك بينما نقول نحن عنه إنه لاعقل له !! كيف عرف كل هذه المعلومات وأن هذه الأرض اسمها مملكة سبأ ؟

إن هذا كله وغيره مما ورد فى القرآن الكريم يؤكد لنا أن هناك علما لمخلوقات الله لا نعلمه نحن البشر ، وأنها تستطيع أن تميز وتعقل ، وأنها وإن كانت

مخلوقة بالغريزة ، إلا ان الله عز وجل أعطاها ما يمكنها من أداء مهمتها فى الكون .. فإذا كان ذلك مع الحيوان والطير والحشرات ، فإن الارض أيضا والسماوات تسمعان وتنطقان .

واقرأ قوله تعالى :

﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾

(الآية ١١ سورة فصلت)

الله سبحانه وتعالى كلم السماوات والأرض وردت عليه السموات والأرض بعد أن سمعت كلام الله عز وجل .. وفى ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت﴾

(الآيات من ١ـ٥ سورة الانشقاق)

ومعنى قوله تعالى (وأذنت) أنها سمعت بأذنها – أين نحن من هذا العلم اللانهائى فى هذا الكون ؟! إذا كان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا بعض قوانين كونه فاستعلينا عليها وحسبنا أن الكون خضع لنا بإرادتنا ، وأننا نستطيع أن نفعل فيه ما نريد وأن نأمر هذا الكون فيطيع ..

إذا تأملنا هذه الآيات الكريمة نجد أن فى الكون علما لا نهائيا محجوبا عنا ، وأن ما نعلمه هو أقل القليل ..

عندما يعبد الإنسان عقله

حين يكفر الإنسان بربه ويعبد عقله ويعتقد أنه سيطر على الكون، يأتى أمر الله سبحانه وتعالى ليهدم كل مألوف فى الكون أعطى الانسان هذا الشعور الكاذب بأنه قادر على الأرض، فينتهى هذا المألوف.. تتكور الشمس وتضمحل وتختفى أو تطلع من مغربها أو تذهب قوتها وضوؤها..

المهم إن الرتابة المعهودة فى الشمس والتى ألفناها حيث تشرق فى الصباح وتغرب فى المساء تختفى تماما.. وتتغير قوانين الشمس، والنجوم التى تتماسك مع بعضها البعض بقدرة الله والتى تسير فى مسارات معدة لها بحيث لايصدم نجم غيره.. هذه النجوم تتصادم وتتناثر، كذلك الجبال التى على الأرض تنسف من مكانها. وفى ذلك يقول الله عز وجل:

﴿ ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا﴾

(الآية ١٠٥ سورة طه)

أو يخف وزنها .. فهى كالعهن المنفوش، إن الصورة الكاملة لكل ما سيحدث عند نهاية العالم هو أن المألوف ينتهى.. والذى ألفت أنه يخدمك.. وكان يخدمك بتسخير الله له.. قد انتهى تسخير الله وأصبح غير مسخر لخدمتك.

الأرض التى كانت تعطيك الزرع والثمر الذى تأكله لا تعطيك شيئا، والجبال التى كانت هى أوتاد الأرض تحفظ توازنها ويخزن فيها أقوات البشر تنسف نسفا، والشمس التى كانت تعطيك الدفء والنور وتبعث الحياة فى الكون هى الأخرى لم تعد لها مهمة. انتهت مهمتها، وزينة الأرض التى كنت تظن أنها من صنعك وأنك ستبقيها ذهبت وتخلت عنك.. كل هذا انتهى.. دنيا الأسباب زالت وانتهت وحتى سيطرتك على نفسك زالت وانتهت.

حتى قدمك لم تعد تخضع لك تمشى بها إلى حيث تشاء، بل أصبحت تخضع لخالقها الذى كان قد استخلفك فيها وجعلها تطيعك فيما تريد، ويدك التى كنت تبطش بها انتهت سيطرتك عليها ولم تعد تخضع لإرادتك.. بل إن كل أجزاء الجسم التى أخضعها الله سبحانه وتعالى لمشيئتك أصبحت غير خاضعة لك.. فأنت تمشى إلى حيث أراد الله ولو إلى جهنم، ولسانك لاينطق إلا إذا شاء الله.. وعينك لاتبصر إلا إذا أراد لها الله دون أمر منك.. ولذلك هناك من سيحشر يوم القيامة أعمى وقد كان فى الدنيا بصيرا .. لماذا؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى أعطى لعينيه قدرة البصر فى الدنيا .. وهو الذى سلب منه هذه القدرة فى الآخرة.

لقد كان الناس يحسبون أنهم يعيشون بقدراتهم، ويمشون بقدراتهم، ويتكلمون بقدراتهم، حسبوا أنهم عندما اكتشفوا قوانين الربح.. واستخدموها فى أغراضهم الدنيوية أنهم قد سيطروا عليها، ولكن الله سبحانه وتعالى الذى أعطاهم هذه القوانين يسلبها منهم وهكذا كل شىء حولك تغير.. وكل شىء ألفته فى الدنيا يتغير.

هذا بالنسبة لمن سيكونون أحياء عند نهاية العالم، ولكن هل من سيكونون فى قبورهم عند نهاية العالم ستتغير قوانينهم؟.. نقول نعم.. لأنها بداية مرحلة جديدة للجميع ولذلك فإن أجسادهم تعود إليهم، وأرواحهم تعود إلى أجسادهم.. يخرجون من الأرض وقد ذهب عنهم الموت الذى لازمهم طوال فترة القبور..

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن فترة القبور ليست أبدية، ولكنها فترة معينة يغادر بعدها الإنسان القبر.. فيقول جل جلاله:

﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾

(الآيتان ١، ٢ سورة التكاثر)

ولابد أن نلتفت إلى قوله سبحانه وتعالى «زرتم» .. ولم يقل خلدتم أو بقيتم .. ومعنى الزيارة كما نعرفها أنك تذهب عند قريب أو صديق لتزوره فتبقى عنده فترة من الوقت ثم ننصرف، لاتبقى عنده مقيما، ولكن زائرا.. وإن طالت الزيارة أو قصرت فإنها فترة تنتهى.. إن هذا ينطبق أيضا على الموتى سكان القبور منذ عهد آدم حتى نهاية العالم فهم (زوار) لهذه القبور، يقضون فيها الوقت ثم يغادرونها..

ولكن هل يحس الإنسان فى القبر بالزمن ؟.. هل الذين ماتوا من عهد آدم يحسون بزمن بقائهم فى قبورهم؟

والجواب لا .. ولذلك عندما يسأل الله الناس بعد أن يخرجوا من قبورهم .. «كم لبثتم» ماذا يكون جوابهم؟.. اقرأ قوله تبارك وتعالى:

﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا

يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون﴾

(الآيتان ٥٥، ٥٦ سورة الروم)

إذن ففى حياة البرزخ لايحس فيها الإنسان بالزمن، لأن الزمن هو قياس للاحداث، ومادام ليس هناك أحداث فليس هناك زمن .. وأن كل من مات مرصود فى كتاب لا يضل ربى ولاينسى.. وأنه سبحانه أحصاهم وعدهم عدا.. لا يتخلف منهم أحد يوم يقوم الناس لرب العالمين، وأن هذا الكتاب لا يفوته شيء أبدا.

كيف ستعود الاجساد ؟

لابد لنا من وقفة هنا .. بعض الناس يتساءل كيف ستعود الاجساد كما هى، وكيف سيعود الأشخاص كما هم .. مع أن الأجساد بليت؟

يرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله جل جلاله:

﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الانبياء)

وهذا أمر يسير على الله سبحانه وتعالى، لأن الله الذى أوجد من عدم، وخلق على غير مثال، أوجدهم فى الحياة الدنيا ولم يكونوا موجودين، ويكون أسهل عليه أن يعيدهم فى الآخرة لأنه إيجاد من موجود، ونحن نستعمل (أسهل) مجازا لمخاطبة العقول البشرية.. لأنه لا يوجد سهل ولا صعب على الله تبارك وتعالى .. بل كل شيء عليه جل جلاله هين ولا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء ؟

وإذا أردنا أن نقرب هذا إلى الأذهان نقول: إن الله قد ميز كل إنسان فى الحياة الدنيا بأشياء لاينطبق فيها مع غيره، وأول هذه الأشياء هى بصمة الاصبع.. فلا توجد بصمتان متشابهتان من أول الدنيا إلى آخرها..

وكل جسد إنسانى مميز عن غيره.. لذلك تجد أن خلايا الجسد يعرف

بعضها بعضا بشفرة خاصة أو بلغة يعلمها الله تبارك وتعالى. فإذا جرح الإنسان مثلا جرحا كبيرا.. تجد أن خلايا الجسم تتجانس وتتكاثر حتى تلتئم وتعود إلى طبيعتها، فإذا جئنا بعضو من جسد وحاولنا أن نزرعه فى جسد آخر نجده يلفظه ولا يتقبله !!

كيف ميز الجسد بين ما هو منه، وما هو من جسد غيره، مع أن كل الاجساد متشابهة !! لابد أن لكل جسد شفرة خاصة تميزه عن الجسد الآخر.. وأن هذه الشفرة لاتتكرر.. وحتى عندما تنجح زراعة الاعضاء فلابد لمن زرع له عضو من جسد آخر أن يتناول العقاقير والادوية التى تمنع أو تقلل من فعالية هذه الشفرة حتى لا تلفظ هذا الجزء الغريب الذى نقل من جسد آخر.

كذلك لكل جسد رائحة خاصة مميزة نحن لانستطيع أن نميزها ولكن بعض الحيوانات كالكلاب ـ مثلا ـ تستطيع .. ولذلك إذا شم منديلا أو قطعة قماش فإنه يستطيع أن يخرج صاحبها من بين مئات الأشخاص.

وهناك عشرات من الأشياء التى تميز كلا منا عن الآخر.. تمييزا يجعلك تستطيع أن تخرج الشخص نفسه من بين مئات الأشخاص.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أعطانا هذا العلم رحمة بعقولنا.. فإنه يجعلنا نفهم أنه عندما تعود الأرواح إلى الأجسام .. ستعود إلى الجسد الذى كانت فيه، حيث يكون مميزا عن بقية الأجساد التى وجدت من يوم آدم حتى نهاية العالم.

الإنسان وعناصر الأرض

صحيح أننا جميعا مخلوقون من عناصر الأرض، ولكن لكل منا خلق مميز وتكوين يختلف عن تكوين الآخر.. إن نسبة العناصر فى الجسد ليست واحدة، وإن كانت العناصر واحدة فكل واحد منا تجتمع فيه الستة عشر عنصرا الموجودة فى الأرض، ولكن النسب تختلف بين كل واحد وآخر.

ولتقريب ذلك إلى الأذهان فإننا نستطيع بألوان الطلاء ان ننتج درجات مختلفة من اللون لا عدد لها .. فإذا أتينا باللون الأبيض مثلا ووضعنا عليه بعض ذرات من اللون الأصفر لاختلف فإذا زدنا الكمية اختلف اللون، فإذا جئنا باللون

الأحمر ووضعنا عليه نقطة أو نقطتين على الخليط لاختلف اللون، وإذا وضعنا سبع أو ثماني نقاط لاختلف أيضاً، وذلك لان ضبط الألوان عملية فى منتهى الدقة .. لأن كل زيادة من أى لون .. تعطينا لونا جديدا.

هذا بقدرة المخلوق، فكيف بقدرة الله سبحانه وتعالى.

لقد خلق الإنسان من عناصر الأرض.. وهى ـ كما قلت ـ ستة عشر عنصراً أساسيا .. كل ذرة من أحد هذه العناصر إن زادت تعطى إنسانا مختلفا.. وإن نقصت تعطى إنسانا مختلفا .. وبقدرة الله جل جلاله تعطينا عددا لانهائيا من البشر.

وهكذا نرى أن تغييرا أساسيا يحدث بالنسبة للإنسان عندما ينتهى العالم.. ولكن شيئا واحدا سنختلف فيه جميعا .. هو الصعقة التى ستصيب كل ما هو حى إلا من يشاء الله .. والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله﴾

(من الآية ٦٨ سورة الزمر)

إن هذه الآية تلفتنا إلى شيئين هما أن الله تبارك وتعالى قد استثنى بعض خلقه من الصعقة التى ستحدث .. فكأن هناك من لن تصيبه الصعقة وهؤلاء فى علم الله.

وعندما ينتهى العالم وينتهى علم الانسان الذى ظن أنه سيطر به على الأرض .. يعرف الناس الحقيقة ويعرفون أن علمهم كان علما ظاهريا.. مصداقا لقوله جل جلاله:

﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾

(الآية ٧ سورة الروم)

عند ذلك يعرف الناس العلم الحقيقى وبعد أن كان هذا العلم قد أعطاه الله سبحانه وتعالى لنا (علم يقين) فى الحياة الدنيا يصبح (عين يقين) .. فهناك علم

يقين، وحق يقين، وعين يقين. فما الفرق بينهم؟

نقول: إن العلم الذى نأخذه عن الله سبحانه وتعالى هو علم يقين .. لأنه صادر عن الحق جل جلاله. فالمؤمن يوقن أن ذلك سيحدث فعلا وكأنه يراه أمامه.

والله تبارك وتعالى يقول:

﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غفلون﴾

(الآية ٦ سورة الروم)

فكأننا نأخذ العلم عن الله سبحانه وتعالى بأنه علم يقين، ثم بعد ذلك عندما نرى الغيب بعد خروج الروح سواء في حياة البرزخ أو يوم القيامة فإن رؤيتنا له هى رؤية (عين يقين) أى نراه بأعيننا وهو أمامنا.. أما بعد الحساب فإن الرؤية تكون فى هذه الحالة حق اليقين، لأنه من يدخل النار ويصبح فى داخلها يكون ذلك (حق يقين) إنه تذوقها وأحسها ومن يدخل الجنة يكون ذلك (حق يقين) لأنه قد تذوق نعيمها بعد أن رآها ودخلها.

وهكذا مع نهاية العالم ينتهى كل زيف من علم الإنسان ويرى أمامه كل شيء على حقيقته وبلا زيف وفى يقين كامل، فيرى الملائكة، ويرى الشياطين ويرى الجنة ويرى النار ويعرف عظمة خالقه جل وعلا.. ويعلم يقينا أنه لا حول ولا قوة فى هذا الكون إلا لله سبحانه وتعالى..

وتنتهى دنيا الاسباب بشموسها وأقمارها ونجومها.. لتشرق الأرض الجديدة بنور ربها سبحانه وتعالى ثم يوضع الكتاب ويقام الميزان وتوفى كل نفس ما عملت بعد ان انتهت دنيا الاسباب وأصبحنا فى حضرة الله مسبب الأسباب.

هذه بعض خواطرى عن نهاية العالم.. والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل.

رقم الايداع ١١٢٣٨ / ٩٣

I.S.B.N 977 - 13 - 0101 - 2

الدار المصرية للنشر والإعلام

Al dar al-masria publishing & information

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر